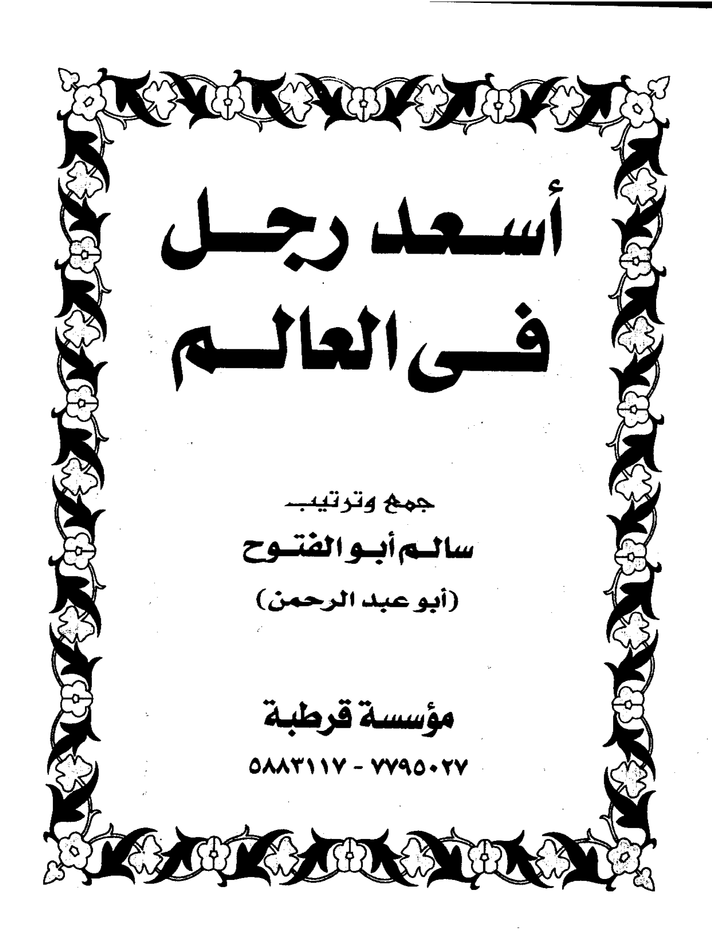


أسعد رجل في العالم

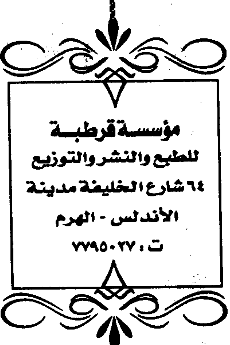
جمع وترتيب

سالم أبو الفتوح

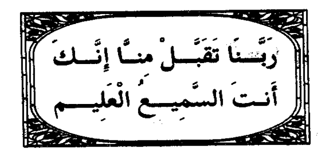
(أبو عبد الرحمن)

مؤسسة قرطبة

٥٨٨٣١١٧ - ٧٧٩٥٠٢٧



بسم الله الرحمن الرحيم



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

رقم الإيداع	٨٠٣٠/ ٢٠٠٥
الترقيم الدولى	977-363-011-1

التجهيز الفنى: صلاح حسن

ت: ٠١٢٢٣٨٠٩١٠٢

الشركة الفنية للطباعة ت: 7771039

الناشر مؤسسة قرطبة

٦٤ ش الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧

٥ ش الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٥٨٨٣١١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ (النساء: ١).

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١). أما بعد:

فيختلف الناس فى أنماط معايشهم، وتتباين مناهجهم وأفكارهم ودياناتهم وأعمالهم؛ لكنهم متفقون على شىء واحد وهو طلب السعادة.

وفى البحث عن السعادة تتشتت طرق الناس فى كيفية

حيازتها: فهذا ظن أن السعادة فى جمع الأموال الطائلة، وذاك ظن أنها فى بناء القصور الشاهقة، وآخر فى شراء السيارة الفارهة، وآخر فى الزوجة الجميلة، وهكذا.

وفى هذا الكتاب يدور الحديث عن السعادة ومفتاحها الحقيقى.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

سالم أبو الفتوح

أوهام السعادة

ماذا علينا لو أخذنا عينات عشوائية من البشر، مختلفة فى أديانها، وأماكنها، وألسنتها، وألوانها، وعاداتها، ووظائفها، واتجاهاتها، وسألنا أفرادها:

ما غايتكم من الحياة؟ لو فعلنا ذلك، لوجدنا أن إجاباتهم جميعًا واحدة: لا نريد إلا السعادة.

فالسعادة هى الغاية المنشودة، والجنة الموعودة التى يسعى إليها البشر أجمعون.

فالمؤمن بإيمانه يسعى إلى السعادة.

والكافر بكفره ينشد السعادة.

والسارق بسرقته يريد السعادة.

والزانى بزناه يروم السعادة.

وجامع المال يطلب بجمعه السعادة.

وصاحب السلطان والمناصب يقصد بذلك إلى السعادة.

وصاحب الأسفار المتنقل بين البلدان يمشى فى تحصيل السعادة.

وعلى الرغم من أن الناس جميعًا يطلبون السعادة، فمعظمهم لم يعرف السعادة الحقيقية، ولم يهتد إلى طريقها، وإن شعروا

بجانب اللذة والفرح والانبساط فى الدنيا، فإن عوامل الخوف والقلق والتنغيص والندم والاضطراب تعكر عليهم صفو حياتهم وتذهب بلذاتهم، وتجعلهم فى خوف دائم من المستقبل، وخاصة من الموت الذى يكرهونه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨).

العالم اليوم

إن العالم اليوم يعيش حالة من القلق والاضطراب النفسى والعصبى والشقاء والخوف الدائم مما يسمونه «المجهول».

فقد انتشرت الأمراض الخطيرة التى عجز الطب الحديث عن علاجها، بل عن معرفة أسبابها، وسبل الوقاية منها.

فمرض الإيدز يقتل الملايين من البشر كل عام.

ومرض السرطان بأنواعه المختلفة يفتك بالملايين.

والتلوث البيئى يفتك بالملايين.

والمخدرات والمسكرات تفتك بالملايين.

والشذوذ الجنسى بأنواعه يعصف بالعالم.

والجرائم على اختلاف طرقها وبواعثها فى ازدياد مستمر.

والحروب بين الدول أو بين أبناء الأمة الواحدة تتنامى بشكل

ملاحظ.

والفقـراء في العالم يمـوتون بسبب الأوبئة والأمـراض وسوء التغذية، فأيُّ عالم هذا؟ وأيُّ سعـادة تلك التى تتحقق مع وجود هذه الشـرور؟! ويظـل المرء حـائرًا وسط هذا الاضـطراب الذى يموج بالعالم موج البحر، ويتساءل فى يأس وقلق:

أيَّ طريق يسلك؟

وأيَّ واد يؤم؟

وأيَّ سبيل يقصد؟

سـعادة الغـرب

إن كثيرًا من الناس ينظرون للعالم الغربى نظرة إجلال وإكبار، ويحـسبون أنـهم يعيـشون قـمة السـعادة والأمن والاطمـئنان، والحقيقة تؤكد عكـس ذلك، والواقع يشهد بأن أهل الغرب الآن يعيـشون أسوأ فتـرات حياتهم، وتـؤكد ذلك الإحصائـيات التى تصدر عن الوكالات والمؤسسات الغربية نفسها.

بريطانيـا

من أحدث الدراسات دراسـة نشرتها مؤسسـة دراسات الرقابة الاجتماعية الأوروبية؛ أشـارت إلى أن ثمانين فى المائة من النساء البريـطانيات اللائى تـتراوح أعمـارهن بين العشـرين والخامـسة

والثلاثين عـامًا - يشعرن بـالخطر من السير بمفـردهن فى شوارع العاصمة والمدن الداخلية الكبرى، خـشية وقوعهن ضحايا جرائم الاغتصاب والعنف.

وأضافت الدراسة أن امرأة من بـين كل أربع نساء فى المرحلة العمـرية نفسـها (٢٠ - ٣٠) عامًا تحـمل سكينًا أو سـلاحًا فى حقيبتها أثناء تجوالها فى شوارع العاصمة والمدن الداخلية الكبرى.

وفى تقرير آخر تشـير الإحصائيات إلى أن جرائـم الاغتصاب بلغت ٢٤٪ فى مـختلف أنحـاء البلاد، بـينما تصـل فى لندن ٥٠٪.

أمريكـــا

تقول مجلة «النيوزويك» الأمريكية: إن الزائر لأمريكا فى عام ١٩٩٤م اكتشف أنه لا يوجد طفل واحـد فى الشارع؛ فأى أسرة لا تجرؤ على السـماح لأولادها بالخروج بمفردهـم، وإلا تعرضوا للخطف أو الاعتداء أو الاغتصاب.

وهذه بعض الإحصائيات التى أوردتها المجلة:

(١) زادت حالات الاعتداء على الأطفال بنسبة ٤٠٪ بين عام ١٩٨٥م وعام ١٩٩٣م.

(٢) اعترف أكثر من نصف الأطفال الأمـريكيين أنهم يعيشون

فى رعب من جرائم العنف.

(٣) وعلى المستوى الرسمى أعلنت وزارة العدل الأمريكية أن نسبة جرائم الأحداث - وتشمل الجرائم الخطيرة مثل القتل - زادت بنسبة ٦٨٪.

(٤) وارتفعت حالات الاعتداءات العنيفة بنسبة ٨٠٪ من عام ١٩٩٣م حتى بلغت ٧٧ ألفًا و ٩٠٠ جريمة.

(٥) وارتفعت معدلات السرقة بنسبة ٥٢٪ والاغتصاب بنسبة ٢٧٪.

(٦) مائتان فى المائة بلغت نسبة الزيادة فى عدد الأسر التى يعيش أطفالها فى حضانة أحد الأبوين، وذلك بسبب الطلاق أو الانفصال مقارنة بالسبعينات (صراخ الفطرة).

ولا غرابة فى أن يقول أحد المفكرين الغربيين: إن الحياة فى «نيويورك» غطاء جميل لحالة من التعاسة والشقاء.

سعادة أم شقاء؟

يخطئ كثير من الناس ممن قل علمه وقصر فهمه، إذ يظنون أن طيب الحياة وسعادة الأبد يتحققان لمن كثر ماله، وتيسرت له متع الدنيا الفانية، من شهى المآكل، وبهى الملابس، وعامر القصور، وفاره المراكب، وكثرة الأموال المخزونة، والأتباع الذين

يحفون بالشخص يعظمونه ويخدمونه، ولو خلا قلبه من الإيمان أو ارتكب ما ارتكب من أنواع الكفر والفسوق والعصيان؛ وإن كان يبدو للناس أن أسباب سعادة الدنيا المال أو الشهرة أو الشهوات أو الوصول إلى المناصب وأعلى الشهادات، فإنها في الواقع سعادة زائفة، بل كل ذلك ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: ٣٩).

فأكثر الشبان يلهث خلف المال والشهرة والشهوات والمناصب والشهادات، ظنًا منهم أنهم سيحصلون السعادة المفقودة، والغاية المنشودة.

فتضيع الأعمار النفيسة في طلب الأغراض الخسيسة، ولا يجدون إلا الهم والغم والحزن والضنك، وهكذا كل من أعرض عن شرع الله لا يجد إلا الضياع والحسرات، والانتكاسات، سواء في ذلك من كفر بالشرع المتين وآمن بالطاغوت، أو أعرض عن الكتاب والسنة، ولجأ إلى الهوى، أو أعرض عن طاعة الله عز وجل وطاعة رسول الله ﷺ وانهمك فيما يغضب الله عز وجل، هم والله لا يجنون إلا النكد والحسرة والشقاء في الدنيا والآخرة، فما أوضح قول الله عز وجل: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٣: ١٢٤).

وما يجده أهل المعاصى ليس من السعادة الحقيقية، وإنما هى شهوات محرمة تزينها الشياطين لأوليائهم، لا تلبث أن تنقلب عليهم همًا وشقاءً، فهى كطعام لذيذ مسموم يتمتعون به لحظات، وفيه هلاكهم وحتفهم، والأمثلة كثيرة جدًا.

وسوف أقتصر على بعض الأمثلة التى تبين أحوال أصحاب الأموال والشهرة والشهادات والمناصب، يظهر بها أن طريق المال والشهرة والشهادات والمناصب لا يمكن أن يكون طريقًا للسعادة.

- **وأبدأ بأهل الشهرة**

أما الشهرة فلا يسعد العبد بها على كل حال، فليس للعبد أن يسعى للشهرة أو يطلبها، أو تكون من أهدافه، قال تعالى: **﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** (القصص: ٨٣).

وكان السلف ﷺ يكرهون الشهرة أشد الكراهة، ويفرون منها، وكان أويس وغيره من الزهاد إذا عرفوا فى مكان ارتحلوا عنه.

وقيل: إن إبراهيم بن أدهم فى البستان الفلانى، فدخل الناس

يدورون ويقولون: أين إبراهيم بن أدهم؟ فظل يدور معهم ويقول: أين إبراهيم بن أدهم؟

فالشهرة على كل حال ليست من أسباب السعادة، بل قد تكون من أسباب الضيق والعنت والمشقة، فكيف إذا كانت الشهرة فى اللعب بالكرة أو الغناء أو التمثيل.

● **يقول الدكتور/ ناصر العمر:**

أهل الفن حياتهم أسوأ حياة يعيشها البشر: فشل أسرى، مخدرات، انحلال، انعدام حياء، موت فضيلة.

وأقصد بأهل الفن: أهل الغناء والطرب والتمثيل.

ولا أقول هذا من عندى، بل هو من مذكراتهم التى تعج بها الصحف صباح مساء، خذوا على ما أقول ثلاث وقائع:

● **الواقعة الأولى: (أنور وجدى)** زوج الممثلة اليهودية (ليلى مراد)، هذه الزوجة التى قالت عنه فى مذكراتها: إن زوجى كان ممثلاً بسيطًا، فقال: أتمنى أن أملك مليون جنيه حتى ولو أصبت بمرض، فقلت له: ما ينفعك المال إذا جاءك المرض؟ فقال: أنفق جزءًا من المال فى علاج المرض وأعيش فى بقيته سعيدًا، فملك أكثر من مليون جنيه، وابتلاه الله بسرطان فى الكبد، فأنفق المليون جنيه وزيادة ولم يجد السعادة، حتى إنه كان لا يأكل إلا شيئًا يسيرًا من الطعام، فهو ممنوع من أكل كثير من الأطعمة،

وأخيرًا مات بهذا المرض حسيرًا نادمًا.

● **الواقعة الثانية: (نيازى مصطفى)** وهو من كبار المخرجين؛ لكنه عاش حياته فى شقاء وتعاسة، وعندما بلغ السبعين من عمره، وجدوه قتيلاً فى منزله، ووجدوا أنه فى تلك الليلة التى مات فيها قد أقام حفلاً صاخبًا شاركه فيه أكثر من عشر فتيات، وفى الصباح وجدوه: (أثرًا بعد عين) فقد وجدوه قتيلاً.

انظر إلى هذه الحياة: ذعر، وسكر، وخيانة، مات على هذه الحالة المأسوية، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

* **الواقعة الثالثة: (عبد الحليم حافظ)** الرجل الذى عاش حياته مريضًا وحيدًا من غير زوج ولا ولد، إلى أن اختطفه الموت، وأنهكه المرض بعد الخمسين بقليل، فى قمة الشقاء.

أذاعت بعض الإذاعات مكالمة تليفونية منذ أعوام بين المغنى عبد الحليم حافظ والممثل العالمى عمر الشريف، سأله فيها عبد الحليم فقال له: يا عمر، أنت سعيد، فقال له عمر الشريف: أنا ما ذقت طعم السعادة.

● **وهذه «مارلين مونرو»** ممثلة الإغراء والجنس الشهيرة التى أحاطت بها الأضواء من كل جانب، ماتت منتحرة، وقد اكتشف المحقق الذى كان يدرس قضية انتحارها - رسالة كتبتها قبل

وفاتها إلى فتاة تطلب نصيحتها عن الانخراط فى التمثيل فكتبت إليها تقول: احذرى المجد... احذرى كل من يخدعك بالأضواء... إنى أتعس امرأة على هذه الأرض... لم أستطع أن أكون أمًّا، إنى امرأة أفضل البيت... الحياة العائلية الشريفة أفضل من كل شيء...

إن سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة... إن هذه الحياة العائلية هى رمز سعادة المرأة بل الإنسانية.

فالسعادة إذن ليست إلا بريقًا زائفًا تشع به أعينهم لتوهم الآخرين بذلك، مع أنهم يعيشون فى الواقع قمة الشقاء والتعاسة. (المصدر- «السعادة بين الوهم والحقيقة»: ص ٢١ - ٢٣).

أهل المال

قصة «كرستينا أوناسيس» (وهى مثال لشقاء أصحاب الأموال): يقول الدكتور/ ناصر العمر: تلك القصة العجيبة التى تؤكد أن المال مهما زاد وكثر لا يمكن أن يكون وحده سببًا للسعادة، قصة عجيبة تابعت فصولها على مدى خمسة عشر عامًا أو تزيد، وانتهى آخر فصل منها منذ أشهر فقط، إنها قصة: «كرستينا أوناسيس».

إليكم قصة هذه المرأة تلك الفتاة اليونانية ابنة المليونير المشهور

«أوناسيس» ذلك الذى يملك المليارات، يملك الجزر، يملك الأساطيل، لقد ورثت من أبيها ما يزيد على خمسة آلاف ميلون ريال.

فتاة تملك أسطولاً بحريًا ضخمًا، تملك جزرًا كاملة، تملك شركات طيران، وخلاصة القول أن هذه الفتاة كانت قد تزوجت فى حياة أبيها برجل أمريكى، وعاش معها شهورًا ثم طلقها أو طلقته.

وبعد وفاة أبيها تزوجت برجل آخر يونانى، وعاش معها شهورًا، ثم طلقها أو طلقته، ثم انتظرت طويلاً تبحث عن السعادة، أتعلمون من تزوجت؟

للمرة الثالثة (أغنى امرأة فى العالم على الإطلاق) أتعلمون من تزوجت، لقد تزوجت شيوعيًا روسيًا، يا للعجب، قمة الرأسمالية تلتقى مع قمة الشيوعية، وعندما سألها الناس والصحفيون - بشكل خاص - عندما سألوها: أنت تمثلين الرأسمالية، فكيف تتزوجين بشيوعى، عندها قالت: أبحث عن السعادة.

وبعد الزواج ذهبت معه إلى روسيا، وبما أن النظام هناك لا يسمح بامتلاك أكثر من غرفتين، ولا يسمح بخادمة، فقد جلست تخدم فى بيتها - بل فى غرفتيها - فجاءها الصحفيون -

وهم يتابعونها فى كل مكان - فسألوها: كيف يكون هذا؟!
قالت: أبحث عن السعادة.

وعاشت معه سنة ثم طلقها، بل طلقته.

ثم بعد ذلك أُقيم حفل فى فرنسا وسألها الصحفيون: هل أنت أغنى امرأة؟ قالت: نعم، أنا أغنى امرأة؛ ولكنى أشقى امرأة. وآخر فصل من فصول المسرحية الحقيقية تزوجت برجل فرنسى.

لاحظوا أنها تزوجت من أربع دول، وليس من دولة واحدة، لعلها تجرب حظها.

أقول: تزوجت بغنى فرنسى (أحد رجال الصناعة)، وبعد فترة يسيرة أنجبت بنتًا، ثم طلقها، بل طلقته.

ثم عاشت بقية حياتها فى تعاسة وهم، وبعد شهور وجدوها ميتة فى «شاليه» فى الأرجنتين، لا يعلمون هل ماتت ميتة طبيعية أم أنها قتلت، حتى إن الطبيب الأرجنتينى قد أمر بتشريح جثتها، ثم دفنت فى جزيرة أبيها.

(السعادة بين الوهم والحقيقة للدكتور ناصر العمر: (ص ١٣ - ١٩) باختصار، ط. دار الصفوة).

فلو كانت السعادة بالمال، لكانتَ هذه المرأة أسعد امرأة فى الدنيا؛ لأنها كانت أغنى امرأة، فالمال شىء والسعادة شىء آخر،

لو كانت السكينة والطمأنينة وانشراح الصدر وحلاوة الإيمان والأنس بالرحمن يشترى بالمال، لأمكن أصحابَ الأموال أن يصيروا أسعد الناس؛ فالمال يشترى به الشهوات الدنيوية والأعراض الدنية؛ أما السكينة والطمأنينة والرضا والقناعة وغير ذلك فهى أغلى من أن تشترى بمال الأرض كله، وإنما يحصلها العبد بإيمانه بالله عز وجل وعمله الصالح.

وقد أشار القرآن الكريم إلى شقاء أصحاب الأموال الذين لا يتقون الله عز وجل فى جمعها وإنفاقها وإخراج حق الله عز وجل منها، فقال تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٥٥)؛ أى: يعذبهم بجمعها فيواصلون الليل والنهار فى تحصيلها، ويبخلون بإنفاقها وهم كافرون بمنع حق الله عز وجل فيها، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾ (سبأ: ٣٧).

* وإنما يسعد أصحاب الأموال إذا جمعوا مع المال العلم النافع، كما قال النبى ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقى فى ماله ربَّه، ويصل فيه رَحِمَه، ويعلم لله عز وجل فيه حقًا؛ فهذا بأحسن المنازل عند الله...» رواه الترمذى: (٩/ ١٩٩، ٢٠٠ - عارضة) أبواب الزهد، وقال: حسن

صحيح؛ وأحمد؛ وابن ماجه؛ وصححه الألبانى.

* وقال ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها».

(رواه البخارى: (١/ ١٦٥) العلم، ومسلم: (٦/ ٩٧، ٩٨) صلاة المسافرين، والترمذى: (٨/ ١٢١ - عارضة) البر والصلة.

* فبريق المال والشهرة زائف زائل لا يسعد به العبد فى الدنيا ولا فى الآخرة، إلا من عمل فى ذلك بطاعة الله عز وجل، وأراد بعمله الآخرة.

قد يظن الناس أن السعادة فى أن يصير طبيبًا مشهورًا، أو مهندسًا ناجحًا، أو أستاذًا جامعيًا، فيصير هدف الطالب أن يصل إلى هذه الشهادات الدنيوية حتى يحصل السعادة، ولا أريد بذلك أن أهبط بهمم الطلاب عن طلب العلوم التجريبية، ففى تحصيلها منافع للفرد والمجتمع، ومهما كان الداعية المسلم فى منزلة مرموقة، فإن ذلك أدعى لقبول دعوته، والانتفاع بكلمته؛ ولكن أخلص لكم النصيحة هذه الشهادات ليست سبيلاً للسعادة التى يحلم بها الطلاب، وهذه قصة أسوقها تبين زيف الشهادات فى تحصيل السعادة المنشودة.

فى مساء الثالث والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٤٠م

وجدت جثة (إسماعيل أدهم) طافية على مياه البحر المتوسط، «وقد عثرت الشرطة فى معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر؛ لأنه لا يشعر بسعادة فى هذه الحياة ولكراهيته لها، وأنه يوصى بعدم دفن جثته فى مقبرة المسلمين ويطلب إحراقها». (المصدر: مجلة الرسالة: السنة الثامنة. المجلد الثانى. ص ١٢٤١، وأعلام الشرقية (ص ٨٦٠).

فمن إسماعيل هذا الذى آثر هذه النهاية المروعة؟!

يقول عنه صاحب الأعلام: إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل ابن إبراهيم باشا أدهم: عارف بالرياضيات، له اشتغال بالتاريخ، ولد بالإسكندرية وتعلَّم بها، ثم أحرز الدكتوراه فى العلوم من جامعة موسكو عام ١٩٣١، وعُيِّن مدرسًا للرياضيات فى جامعة «سان بطرنسبرج»، ثم انتقل إلى تركيا فكان مدرسًا للرياضيات فى معهد أتاتورك بأنقرة، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٦ فنشر كتابًا وضعه فى «الإلحاد» وكتب فى مجلاتها، أغرق نفسه بالإسكندرية منتحرًا.

(المصدر: الأعلام للزركلى (١/ ٣١٠ بتصرف)، وله ترجمة فى الأعلام الشرقية لزكى مجاهد (ص ٨٥٨ - ٨٦٠)، وفى تراجم عربية، لمحمد عبد الغنى حسن قلت: تأثر إسماعيل أدهم بالمد الشيوعى الإلحادى بسبب إدمانه قراءة إنتاج القوم حتى

علقت أفكارهم بعقله، وتمكنت من قلبه، فألف إثر ذلك - رسالة سماها «لماذا أنا ملحد؟».

(المصدر: نشرها الدكتور/ أحمد الهوارى ضمن الأعمال الكاملة لإسماعيل أدهم (٣/ ٨٠) وتراجم عربية، ص ١٨٩، وذيل الملل والنحل، لسيد كيلانى ص ٩١).

جاء فيها: قوله عن نفسه: أسست جماعة لنشر الإلحاد بتركيا، وكانت لنا مطبوعات صغيرة أذكر منها: ماهية الدين، وقصة تطور الدين ونشأته... وبعد هذا فكرنا فى الاتصال بجمعية نشر الإلحاد الأمريكية، وكانت نتيجة ذلك تحويل اسم جماعتنا إلى المجمع الشرقى لنشر الإلحاد.

(المصدر: ذيل الملل والنحل، لسيد كيلانى ص ٩١).

وقد رد على رسالته هذه: الدكتور/ أحمد ذكى أبو شادى برسالة عنوانها: «لماذا أنا مؤمن؟».

(المصدر: مجلة الرسالة، ٥ أغسطس ١٩٤٠م، وانظر: الإسلام والغرب، لمحمد الخير عبد القادر، ص ٦١، وهوامش على دفتر التنوير لجابر عصفور ص ١٣٦، وقد ذكر أن أبا شادى نشرها فى مجلة الإمام سبتمبر عام ١٩٣٧م).

(المصدر: نشرها الدكتور/ أحمد الهوارى عقب رسالة إسماعيل مظهر، ضمن الأعمال الكاملة له (٣/ ٩٢).

انتحر إسماعيل أدهم، وله من العمر تسعة وعشرون عامًا: أى فى ريعان شبابه: فكانت نهايته نهاية مأساوية.

وإسماعيل أدهم مجرد أنموذج سقتُهُ للاعتبار، فانظر كيف يخطئ العباد طريق السعادة، فليهثون خلف المال أو الشهرة (أو الشهادة الدنيوية)؛ فإذا حصلوها حصلوا الشقاء والنكد، فيضيع العمر المشرف فى طلب الغرض الخسيس، فطوبى لمن هداه الله عز وجل لطريق السعادة الحقيقية فحصل أسبابها، وسلك طريقها فسعد فى الدنيا، مع ما ينتظره فى الآخرة من السعادة الدائمة، والنعيم المقيم فى جوار رب العالمين، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

وهذه قصة يرويها الدكتور/ عمر الأشقر يقول (حفظه الله): نشرت صحيفة الأهرام المصرية تحت عنوان: (أستاذة جامعية تنصح طالباتها بالزواج)، قالت: أستاذة جامعية فى انجلترا - وقفت هذا الأسبوع أمام مئات من طلبتها وطالباتها تلقى خطبة الوداع بمناسبة استقالتها من التدريس.

قالت الأستاذة: ها أنا قد بلغت الستين من عمرى، وصلت فيها إلى أعلى المراكز، نجحت وتقدمت فى كل سنة من سنوات عمرى، وحققت عملاً كبيرًا فى المجتمع، كل دقيقة فى يومى كانت تأتى علي بالربح، حصلت على شهرة كبيرة، وعلى مال

كثير، أتيحت لى الفرصة أن أزور العالم كله؛ ولكن هل أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات، لقد نسيت فى غمرة انشغالى فى التدريس والتعليم والسفر والشهرة أن أفعل ما هو أهم من ذلك كله بالنسبة للمرأة، نسيت أن أتزوج وأن أنجب أطفالاً، وأن أستقر، إننى لم أتذكر ذلك إلا عندما جئت لأقدم استقالتى، شعرت فى هذه اللحظة أننى لم أفعل شيئًا فى حياتى، وأن كل الجهد الذى بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباءً، سوف أستقيل وسيمر عام أو اثنان على استقالتى وبعدها ينسانى الجميع فى غمرة انشغالهم بالحياة؛ ولكن لو كنت تزوجت وكونت أسرة كبيرة، لتركت أثرًا كبيرًا وأحسن فى الحياة.

إن وظيفة المرأة هى أن تتزوج وتكوِّن أسرة، وأى مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له فى حياتها بالذات، إننى أنصح كل طالبة أن تضع هذه المهام أولاً فى اعتبارها، وبعدها تفكر فى العمل والشهرة، إن هؤلاء المساكين يضيعون أعمارهم، ولا يدركون الحقيقة إلا فى غروب العمر. والعجب من فتيات الإسلام اللواتى يتابعن هؤلاء فى التيه على غير هدى، وقد دلنا الله على الطريق، وبين لنا السبيل، والسعيد من وعظ بغيره، فإلى أين يا ابنة الإسلام؟!

(المصدر: «جولة فى رياض العلماء وأحداث الحياة»: (ص ٢٩ - ٣)، ط. دار النفائس ومكتبة الفلاح).

فالسعادة ليست فى المال ولا الشهرة ولا الشهادات، فهل السعادة فى المناصب العالية، فالأمراء والوزراء هم السعداء؟ قال النبى ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة»، رواه البخارى: (١٣/ ١٣٤) الأحكام؛ والنسائى: (٨/ ٢٢٥، ٢٢٦) آداب القضاة.

ولا شك فى أن أصحاب المناصب هم أكثر الناس همًا وغمًا وحزنًا قال (نابليون) فى (سانت هيلينا): لم أعرف ستة أيام سعيدة فى حياتى.

وقال هشام بن عبد الملك - الخليفة - عددت أيام سعادتى فوجدتها ثلاثة عشرة يومًا.

فهذا حال أهل الجاه والسلطان، فهم فى واد، والسعادة فى واد آخر، ثم هم يعذبون بمفارقة المال والجاه والسلطان فيكون ذلك عذابًا معجلاً لهم فى الدنيا قبل الآخرة إلا من رحم ربك، وقليل ما هم.

(المصدر: كتاب طريق السعادة للدكتور/ أحمد فريد ص: ٦٤، ٦٨).

* * *

السعادة وأسبابها

إذا كانت السعادة ليست فى الشهرة، وليست فى المال، وليست فى أعلى الشهادات وليست فى المناصب كما بينا سابقًا.

فأين تكون السعادة وكيف أحصل عليها..

كيف أكون أسعد رجل فى العالم؟

إذا أردت أن تكون أسعد رجل فى العالم فعليك بأن تأخذ بأسباب السعادة الحقيقية.

١ - أعظم الأسباب: الإيمان بالله

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

الإيمان يذهب الهموم، ويزيل الغموم، وهو قُرة عين الموحدين، وسُلُوَةُ العابدين، ما مضى فات، وما ذهب مات، فلا تفكر فيما مضى فقد ذهب وانقضى، ارض بالقضاء المحتوم، والرزق المقسوم، فكل شيء بقدر، فدع الضجر.

يجد المتبصر فى أمور الحياة وشئون الأحياء يجد فئات من الناس تعيش ألوانًا من التعب والشقاء، وتنفث صدورها أنواعًا من الضجر والشكوى ضجر وشقاء يعصف بالأمان والاطمئنان،

ويفقد الراحة والسعادة، ويتلاشى معه الرضا والسكينة، نفوس منغمسة فى أضغانها وأحقادها وبؤسها وأنانيتها.

ويعود المتبصر كرة أخرى يرى فئات من الناس أخرى قد نعمت بهنيء العيش وفيوض الخير، كريمة على نفوسها، كريمة على الناس، طيبة القلب سليمة الصدر طليقة المُحيَّا.

ما الذى فرق بين هذين الفريقين؟ وما الذى باعد بين هذين المتباعدين؟

* إنه الإيمان وحلاوة الإيمان «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً» حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد ومسلم وغيرهما فى حديث العباس بن عبد المطلب، مسند أحمد (١ - ٢٠٨) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: الدليل على من رضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصى والكبائر (٣٤).

كما أخبر عليه الصلاة والسلام: «أن ثلاثًا من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر - بعد إذ أنقذه الله منه - كما يكره أن يقذف فى النار»، مخرج فى الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه البخارى: كتاب

الإيمان، باب: حلاوة الإيمان (١٦)؛ صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

للإيمان طعم يفوق كل الطعوم، وله مذاق يعلو على كل مذاق، ونشوة دونها كل نشوة، حلاوة الإيمان حلاوة داخلية فى نفس رضية وسكينة قلبية، تسرى سريان الماء فى العود، وتجرى جريان الدماء فى العروق، لا أرق ولا قلق، ولا تضييق ولا تضيق، بل سعة ورحمة ورضا ونعمة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٧٠).

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد: ٢١)، الإيمان بالله هو سكينة النفس، وهداية القلب، وهو منار السالكين، وأمل اليائسين، وأمان الخائفين، ونصرة المجاهدين، وهو بشرى المتقين، ومنحة المحرومين، الإيمان هو أبو الأمل وأخو الشجاعة وقرين الرجاء إنه ثقة النفس ومجد الأمة وروح الشعوب.

وأول منافذ الوصول إلى حلاوة الإيمان وطعم السعادة الرضا بالله عز وتبارك ربًا، ربًا مدبرًا، فهو القائم على كل نفس بما كسبت، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، قيوم السماوات والأرضين، خالق الموت والحياة، مسبغ النعم، مجيب المضطر إذا دعاه، وكاشف السوء ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠).

سوى الإنسان، نفخ فيه من روحه، أطعمه من جوع، وكساه من عرى، وآمنه من خوف، وهداه من الضلالة، وعلَّمه من بعد جهالة، إيمان بالله تستسلم معه النفس لربها، وتسرع إلى مرضاته، تتجرد عن أهوائها ورغباتها، تعبده سبحانه وترجوه وتخافه وتتبتل إليه، بيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، رضا بالله ويقين يدفع العبد إلى أن يمد يديه متضرعًا مخلصًا: «اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

* ومذاق الحلاوة الثانى - الرضا بالإسلام دينًا، دينًا من عند الله، أنزله على رسوله، ورضيه لعباده، ولا يقبل دينا سواه.

اسمعوا إلى هذا التجسيد العجيب للرضا بدين الله، غضب عمر بن الخطاب ﷺ مرة على زوجته عاتكة فقال لها: والله لأسوأنك، فقالت له: أتستطيع أن تصرفنى عن الإسلام بعد إذ هدانى الله إليه؟ فقال: لا، فقالت: أى شىء تسوءُنى إذًا؟!

الله أكبر، إنها واثقة مطمئنة راضية مستكينة ما دام دينها محفوظًا عليها، حتى ولو صبَّ البلاء عليها صبًا، بل إن إزهاق الروح مستطاب فى سبيل الله على أى جنب كان فى الله المصرع.

الإسلام منبع الرضا والضياء، ومصدر السعادة والاهتداء.

* ومذاق الحلاوة الإيمانية الثالث - الرضا بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه رسولاً ونبيًا، محمد الناصح الأمين والرحمة المهداة والأسوة الحسنة عليه الصلاة والسلام، فلا ينازعه بشر فى طاعة، ولا يزاحمة أحد فى حكم ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

الرضا بمحمد ﷺ اهتداء واقتداء وبسنته استضاءة وعملاً.

إذا صح الإيمان ووقر فى القلب فاض على الحياة، فإذا مشى المؤمن على الأرض مشى سويًا، وإذا سار سار تقيًا، ريحانة طيبة الشذى وشامة ساطعة الضياء، حركاته وسكناته إيمانية مستكينة.

«فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى عليها، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه».

جزء من حديث قدسى أخرجه البخارى فى كتاب الرقائق، باب التواضع (٦٥٠٢) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

من ذاق حلاوة الإيمان طاب عيشه وعرف طريقه، ومن عرف طريقه سار على بصيرة، ومن سار على بصيرة نال الرضا وبلغ المنى.

نعم، يمضي في سبيله، لا يبالي بما يلقى، فبصره وفكره متعلق بما هو أسمى وأبقى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧، ٢٨).

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (الزمر: ٢٢).

هل رأيت (رحمك الله) زيًا ومنظرًا أحسن وأجمل من سمت الصالحين؟

وهل رأيت (وفقك الله) تعبًا ونصبًا ألذ من نعاس المتهجدين؟!

وهل شاهدت (حفظك الله) ماءً صافيًا أرق وأصفى من دموع النادمين على تقصيرهم ومتأسفين؟!

وهل رأيت (رعاك الله) تواضعًا وخضوعًا أحسن من انحناء الراكعين وجباه الساجدين؟!

وهل رأيت (عافاك الله) جنة في الدينا أمتع وأطيب من جنة المؤمن وهو في محراب المتعبدين؟! إنه ظمأ الهواجر ومجافاة المضاجع، فيا لذة عيش المستأنسين، هذه حلاوتهم في التعبد والتحنث.

أما حلاوتهم في سبح الدنيا وكدها وكدحها فتلك عندهم حلاوة إيمانية، تملأ الجوانح بأقدار الله في الحياة، اطمئنان بما

تجرى به المقادير، رضًا يسكن فى الخواطر، فيقبل المؤمن على دنياه مطمئنًا هانئًا سعيدًا راضيًا مهما اختلفت عليه الظروف، وتقلبت به الأحوال والصروف، لا ييأس على ما فات، ولا يفرح بطرًا بما حصل، إيمان ورضا مقرون بتوكل وثبات، يعتبر بما مضى، ويحتاط للمستقبل، ويأخذ بالأسباب، لا يتسخط على قضاء الله، ولا يتقاعس عن العمل، يستفرغ جهده من غير قلق، شعاره ودثاره: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

موقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ لو اجتمع أهل الأرض والسماوات على نفعة بغير ما كتب له، فلن يستطيعوا ولو اجتمعوا على منعه مما قدر له، فلن يبلغوا، لا يهلك نفسه تحسرًا، ولا يستسلم للخيبة والخذلان، معاذ الله أن يتلمس الطمأنينة فى القعود والذلة والتخاذل والكسل، بل كل مسارات الحياة ومسالكها عنده علم وبلاء وخير وعدل وميدان شريف للمسابقات الشريفة، جهاد ومجاهدة فى رباطة جأش وتوكل وصبر، ظروف الحياة وابتلاءاتها لا تكدر له صفاء، ولا تزعزع له صبرًا، «عجبًا لأمر المؤمن، أمره كله خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، ولا يكون ذلك إلا لمؤمن».

أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩) عن صهيب ﷺ نحوه.

بالإيمان الراسخ يتحرر المؤمن من الخوف والجبن والضجر، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

لا مانع لما أعطى ربنا، ولا معطى لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد، وربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

حلاوة ورضًا تقوم في حياة الكفاح على هذه الأصول والمبادئ؛ إذا أعطى تقبل وشكر؛ وإذا منع رضي وصبر، وإذا أمر ائتمر، وإذا نهى ازدجر، وإذا أذنب استغفر.

بهذا الإيمان وبهذا المذاق ينفك المؤمن من رقة الهوى، ونزعات النفس الأمارة بالسوء، وهمزات الشياطين، وفتن الدنيا بنسائها ومالها وقناطيرها ومراكبها وسائر مشتهياتها وزينتها.

سعادة وحلاوة ملؤها القناعة، سعادة وحلاوة يتباعد بها عن الشح والتقتير والبخل والإمساك، وينطلق في معاني الكرم والإيثار والعطاء.

إن في حلاوة الإيمان ترطيبًا لجفاف المادة الطاغية، وحدًا من غلواء الجشع والجزع، وغرسًا لخلال البر والرحمة، ومن ثم

تتنزل السكينة على القلوب، وتغشى الرحمة النفوس ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧).

﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢).

ثانيًا - دوام الذكر:

من أهم أسباب الحياة السعيدة دوام الذكر، فالذكر طمأنينة للقلب، أمان للنفس، حفظ لها من الشرور، والقلب الممتلئ بذكر الله قلب قوى، لا يخاف غير الله، ولا يخشى أحدًا إلا الله؛ لأنه يستشعر دائمًا معية الله ونصرته.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣).

إن قلوب البشر طرًا، كغيرها من الكائنات الحية، التى لا غنى لها عن أية مادة من المواد التى بها قوام الحياة والنماء، ويتفق العقلاء جميعًا على أن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وأنها

تظمأ كما يظمأ الزرع، وتجف كما يجف الضَّرْع؛ ولذا فهى تحتاج إلى تجلية ورى، يزيلان عنها الأصداء والظمأ؛ والمرء فى هذه الحياة، محاط بالأعداء من كل جانب، نفسه الأمارة بالسوء، تورده موارد الهلكة، وكذا هواه وشيطانه، فهو بحاجة ماسة، إلى ما يحرزه ويؤمنه، ويسكن مخاوفه، ويطمئن قلبه؛ وإن من أكثر ما يزيل تلك الأدواء، ويحرز من الأعداء، ذكر الله والإكثار منه لخالقها ومعبودها، فهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها.

قال ابن القيم (رحمه الله): سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون السمك إذا فارق الماء؟

العلاقة بين العبد وبين ربه ليست محصورة فى ساعة مناجاة فى الصباح، أو فى المساء فحسب، ثم ينطلق المرء بعدها فى أرجاء الدنيا غافلاً لاهيًا، يفعل ما يريد دون قيد ولا حكم، كلا هذا تدين مغشوش، العلاقة الحقة، أن يذكر المرء ربه حيثما كان، وأن يكون هذا الذكر مقيدًا مسالكه بالأوامر والنواهى، ومبشرًا الإنسان بضعفه البشرى، ومعينًا له على اللجوء إلى خالقه فى كل ما يعتريه.

بينما الناس فى غفلتهم راقدون فى غيهم سادرون، قد

شغلتهم الدنيا وملذاتها، وألهتهم الأموال والمناصب فى زمن طغت فيه الحضارة والمدنية، فأغرت البشر لينساقوا خلفها لاهثين، قد تعلقت قلوب بالشهوات، وتربعت على كثير من العقول الشبهات.

مع هذا وغيره كان لابد من وقفة تأمل ومراجعة وحديث حساب وتذكير، يرجع فيه المسلم لنفسه، يناقشها وينظر فى صلاحها.

وما أصيب القلب بداء أعظم من الغفلة عن أخراه، وإخلاء إلى الدنيا وحلاوتها المُرة، فتمر عليه الليالى والأيام وهو مريض لا يعلم أنه مريض، عليل لا يدرى ما علته، بل ميت وإن نبض قلبه بروح الحياة، حتى يعلوه الران، وتسكن أرجاءه الظلمة، فيبدو فى أعين الناس سعيدًا، والسعادة عنه بمعزل، مسرورًا وقد عانى الحزن فى حياته، تعلو مُحيَّاه الضحكات والبسمات، وقلبه يتفطر حرقه وألمًا، ويتقطع همًا وغمًا، فللقلوب صدأ لا يجلوه إلا ذكر الله، ولها أقفال مفتاحها لهج اللسان بحمده، وإدامة العبد لشكره، فالذكر جنة الله فى أرضه، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهو إنقاذ للنفس من أوصابها وأتعابها، بل هو طريق ميسر مختصر إلى كل فوز وفلاح، طالع دواوين الوحى لترى فوائد الذكر، وجرب مع الأيام بلسمه لتنال الشفاء.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحيانًا فننتكس

بذكره سبحانه تنقشع سحب الخوف والفزع، والهم والحزن، بذكره تنزاح جبال الكرب والغم والأسى.

ولا عجب أن يرتاح الذاكرون؛ ولكن العجب العجاب كيف يعيش الغافلون الساهون عن ذكره **﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾** (النحل: ٢١).

قال ابن القيم (رحمه الله) في مدارج السالكين: «والذكر منشور الولاية الذى من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قرب قلوب القوم الذى متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التى إذا تعطلت عنه صارت بورًا، وهو سلاحهم الذى يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذى يطفئون به نار الحريق، ودواء أسقامهم الذى متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التى كانت بينهم وبين علام الغيوب هو رياض جنتهم التى فيها يتقلبون.

يدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورًا، به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار المبصرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله

الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته، ولقد امتدح الله عباده المؤمنين أولي العقول والألباب ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠: ١٩١).

وهم أصحاب القلوب الرقيقة الرحيمة فلهم شهادة الله بالإيمان الحق ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٢: ٤).

أخرج مالك فى الموطأ والترمذى والحاكم وصححه عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى». رواه الترمذى ح (٣٣٧٧)؛ وابن ماجه ح (٣٧٩٠)؛ الموطأ ح (٤٩٠)؛ وأحمد ح (٢٢١٩٥).

آه، ما أشد الغفلة والإعراض عن خير العمل، وأزكاه عند الرب، وأرفعه فى الدرجات وخير من إنفاق الذهب والفضة بل وخير من الجهاد فى سبيل الله، إنها الخسارة العظيمة، والغبن والهزيمة يوم يحرم المرء نفسه هذا الفضل العظيم.

أخرج الترمذى والحاكم وصححه، ووافقه الذهبى عن عبدالله ابن يسر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علىَّ، فأخبرنى بشىء أتشبث به. قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»، رواه الترمذى ح (٣٣٧٥)؛ وابن ماجه ح (٣٧٩٣)؛ وأحمد ح (١٧٢٢٧).

قال شيخ الإسلام (رحمه الله): «الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء».

وللذكر فوائد عظيمة، يضيق المقام عن إحصائها، بل يعجز العقل عن إدراكها؛ ولكن حسبنا شىء من ثماره، وفوائده كما عدَّها ابن القيم فى الوابل الصيب:

منها: أنه يورث الذاكر القرب من الله، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه.

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى، إن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ، ذكرته فى ملأ خير منهم؛ وإن تقرب منى شبرًا،

تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلى ذراعًا، تقربت منه باعًا؛ وإن أتانى يمشى، أتيته هروله».

رواه البخارى ح (٧٤٠٥)؛ ومسلم ح (٢٦٧٥).

ومنها: أنه يورثه حياة القلب وهو قوته؛ فإذا فقده العبد، صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

روى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال: قال النبى ﷺ: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت». رواه البخارى ح (٦٤٠٧)، ومسلم ح (٧٧٩).

ومن فوائده أنه مع البكاء فى الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه:

فعن أبى هريرة ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»، رواه البخارى ح (٦٦٠)، ومسلم ح (١٠٣١).

ومنها: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذى هو سبب شقاء العبد فى معاشه ومعاده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ

كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (طه: ١٢٤ : ١٢٦).

ومنها: أنه لما كان الذكر متيسرًا للعبد فى جميع الأوقات والأحوال، فإن الذاكر وهو مستلق على فراشه يسبق فى الفضل والخير القائم الغافل.

روى البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وهو على كل شىء قدير، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لى أو قال: ثم دعا استجيب له؛ فإن عزم فتوضأ ثم صلى، قبلت صلاته»؛ رواه البخارى ح (١١٥٤).

ومنها: أن الله يباهى بالذاكرين ملائكته:

أخرج مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: خرج معاوية على حلقة فى المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك؟ قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا منى، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا

للإسلام ومنَّ به علينا، قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم؛ ولكنه أتانى جبريل، فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة». رواه مسلم ح (٢٧٠١).

ومنها: أنه سبب تنزل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بحلقات الذكر، ومجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به فهو مع أهله فى الدنيا والآخرة.

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ﵄ أنهما شهدا على النبى عليه السلام أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده». رواه مسلم ح (٢٧٠٠).

ومنها: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد فى الوصول إلى البيت، ومنها: أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه، وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل، فإن حجاب الهيبة رقيق فى قلبه.

والواقع يشهد من خلال تجرؤ العباد على معصية الله، بل والمجاهرة بها على رءوس الأشهاد.

ومنها: أن الذاكرين هم السابقون يوم القيامة:

روى مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة، فمرَّ على جبل يقال له جمدان فقال: «سيروا، هذا جمدان سبق المفردون» قالوا: وما المفرودن يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»، رواه مسلم ح (٢٦٧٦).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الجبل لينادى الجبل باسمه، يا فلان هل مر بك أحد ذكر الله عز وجل، فإذا قال: نعم، استبشر».

ومنها: أنه يحط الخطايا ويذهبها:

روى مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك».

ومن قال: «سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر» رواه مسلم ح (٢٦٩١).

* ومن فوائد الذكر أنه سد بين العبد وبين جهنم - والعياذ

بالله - فإذا كان ذكرًا دائمًا محكمًا، كان سدًا محكمًا لا منفذ فيه، وإلا فبحسبه.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا جنتكم» أى: ما تسترون به وتتقون به، قالوا: يا رسول الله، أمن عدو حاضر، قال: «لا، ولكن جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة معقبات منجيات، وهن الباقيات الصالحات».

رواه الحاكم ح (١٩٨٥) ووافقه الذهبى على تصحيحه، ورواه النسائى فى عمل اليوم والليلة ومنها: أنه يزيل الهم والغم عن القلب ويجلب له الفرح والسرور والبسط.

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد: ٢٨).

* ومن فوائده أنه ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سننه.

قال تعالى: ﴿**وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾ (الكهف: ٢٣: ٢٤).

ومنها: أنه غراس الجنة.

أخرج الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ : «لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى؛ فقال: يا محمد، أقرئ أمتك منِّى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنه قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». رواه الترمذى ح (٣٤٦٢).

ولقد عد ابن القيم أكثر من سبعين فائدة للذكر فى كتابه: (الوابل الصيب من الكلم الطيب) فهى حقيقةٌ باطلاعك ويكفى من فوائده أنه يورث ذكر الله تعالى للذاكر.

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢).

قال ابن القيم: «ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا».

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: ٣٦: ٣٨).

واقرأ يرعاك الله هذا الحديث العظيم الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء الفقراء إلى النبى ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم

المقيم، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون. قال: «ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خيرًا ممن أنتم بين ظهرانيهم إلا من عمل مثله؛ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين».

رواه البخارى ح (٨٤٣)؛ ومسلم ح (٥٩٥).

قال أبو الدرداء ﷺ: (لكل شىء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل).

وقال معاذ بن جبل ﷺ: «ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله».

وإن حكم الله بين واضح فى الغافلين الساهين ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٣٦: ٣٧).

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ (طه: ١٢٤: ١٢٦).

فكم من لسان ناطق يحسن الحديث فى كل شىء إلا فى ذكر الله وما والاه، وكم من قلوب تنبض بالحياة وهى خاوية على

عروشها، قد علاها غبار الغفلة، وعشعشت فى زواياها عناكب الران والقسوة، وكم من أجساد تدب على الأرض، وهى إلى الموات أقرب، تتقرب إلى كل أحد، وتبتعد عن ربها وخالقها، تذكر كل مخلوق وتنسى الخالق سبحانه، تخطب ود العباد وهى تسعى جهدها فى إسخاط رب العباد.

الكون من حوله يسبح، الطير فى الهواء، والحوت فى الماء، النملة فى جحرها، الدواب والشجر، الجبال والحجر، الهواء والماء، الأرض والسماء **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** (الإسراء: ٤٤)، ويبقى هو أسير الغفلة والهوى.

إن لسائل أن يسأل: ما بال ذكر الله سبحانه، مع خفته على اللسان وقلة التعب منه، صار أنفع وأفضل، من جملة العبادات مع المشقات المتكررة فيها؟

فالجواب: هو أن الله سبحانه جعل لسائر العبادات مقدارًا، وجعل لها أوقاتًا محدودة، ولم يجعل لذكر الله مقدارًا ولا وقتًا، وأمر بالإكثار منه بغير مقدار؛ لأن رءوس الذكر هى الباقيات الصالحات، لما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «خذوا جنتكم، قلنا: يا رسول الله، من عدو قد حضر، قال: لا، جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا

الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة منجيات ومقدمات وهن الباقيات الصالحات» رواه الحاكم وصححه.

ثم ليعلم كل مسلم صادق، أن المؤثر النافع، هو الذكر باللسان على الدوام، مع حضور القلب؛ لأن اللسان ترجمان القلب، والقلب خزانة مستحفظة الخواطر والأسرار، ومن شأن الصدر، أن ينشرح بما فيه من ذكره، ويلذ إلقاءه على اللسان، ولا يكتفى بمخاطبة نفسه به فى خلواته حتى يفضى به بلسانه، متأولاً قول الله عز وجل: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

فأما الذكر باللسان، والقلب لاه - فهو قليل الجدوى، قال رسول الله ﷺ: «اعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه». رواه الحاكم والترمذى وحسنه.

وكذلك حضور القلب فى لحظة بالذكر، والذهول عنه لحظات كثيرة هو كذلك قليل الجدوى؛ لأن القلب لا يخلو من الالتفات إلى شهوات الدنيا، ومن المعلوم بداهة أن المتلفت لا يصل سريعًا؛ ولذا فإن حضور القلب على الدوام أو فى أكثر الأوقات هو المقدم على غيره من العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو ثمرة العبادات العملية؛ ولذا فإن رسول الله ﷺ حذر من

أن تنفض المجالس دون أن يذكر الله عز وجل فيها بقوله: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفه حمار وكان لهم حسرة». رواه أبو داود والحاكم.

فهذا رسول الله ﷺ يمقت مجالس الغافلين، وينهى عن كل تجمع خلا من ذكر الله، وأن المجالس التى ينسى فيها ذكر الله، وتنفض عن لغط طويل، حول مطالب العيش، وشهوات الخلق، فى تهويش وتشويش، وهمز ولمز، هى مجالس نتنه، لا شىء فيها يستحق الخلود، إنما يخلد ما اتصل بالآخر سبحانه وتعالى؛ ولذا فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه؛ فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك». رواه الترمذى وابن ماجه.

ثالثًا - (التوكل على الله):

ومن عوامل السعادة لكى تكون أسعد رجل فى العالم التوكل على الله؛ فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله، وكلما كان العبد أذل لله وأعظم افتقارًا إليه، كان أقرب إليه وأعظم قدرًا عنده وعند خلقه؛ والعبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضارِّه، محتاج إلى الاستعانة بخالقه، والله سبحانه هو الصمد

الغنى عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه.

وذنوب العباد كثيرة، ولا نجاة لهم منها إلا بمعونة الله وعفوه، وكثير من الكبائر القلبية من الرياء والكبر والحسد وترك التوكل قد يقع فيها المرء، وهو لا يشعر بها، وقد يتورع عن بعض الصغائر الظاهره وهو فى غفلة عن هذه العظائم.

والأسباب المجردة تخذل المرء عن تحقيق مناه، وقد يطرق بابًا يظن أن فيه نفعه، فإذا هو ضرر محض، ولا ينجى من ذلك إلا التوكل على العزيز الرحيم؛ ولذا عظم الله من شأن التوكل، وجعله منزلة من منازل الدين، وقرنه بالعبادة فى قوله: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**﴾ (هود: ١٢٣)، وجعله سببًا لنيل محبته ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وجعله شرطًا لحصول الإيمان به ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (المائدة: ٢٩).

مقام جليل القدر عظيم الأثر، فريضة من رب العالمين، به رضا الرحمن، وفيه منعه من الشيطان، منزلته أوسع المنازل وأجمعها، أقوى السبل عند الله وأحبها، أمر الله به رسوله عليه الصلاة والسلام فى قوله: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾ (الأحزاب: ٣).

والرسل هم أئمة المتوكلين وقدوتهم قال تعالى عن نوح عليه

السلام أنه قال لقومه: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (يونس: ٧١)، وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة: ٤).

وقال هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (هود: ٥٦).

وقال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (يوسف: ٦٧).

وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

وقال رسل الله لأقوامهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ (إبراهيم: ١٢).

وقال مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤).

وفي مطلع النبوة والتنزيل أمر بالتوكل، وأنه يفتح المغلق ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ (العلق: ٣).

وجعله الله صفة لأهل الإيمان يتميزون به عمن سواهم ﴿إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: ٢).

والشيطان لا سلطان له على عباد الله المتوكلين، قال عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل: ٩٩).

والتوكل مانع من عذاب الله كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (الملك: ٢٨: ٢٩).

وموجب لدخول الجنات كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (العنكبوت: ٥٨: ٥٩).

بل المتوكلون حقًا يدخلون جنة ربهم بغير حساب، كما وصفهم نبيهم بذلك في قوله: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» متفق عليه، أخرجه البخاري في الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره (٥٧٠٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ ومسلم في الإيمان (٢١٨) من حديث

عمران بن حصين رضي الله عنه.

وأوصى النبى ﷺ ابن عباس بالتوكل وهو غلام صغير لتأصيل العقيدة فى نفسه فى بكور حياته فقال له: «يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك؛ إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله». رواه الترمذى - سنن الترمذى: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ وأخرجه أيضًا أحمد (١/ ٢٩٣)، قال الترمذى: حديث حسن صحيح، وصححه الضياء المقدسي فى المختارة (١٠/ ٢٥)، وقال ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٠ : ٤٦١): روى هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة، وأصح الطرق الطريق التى خرجها الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٠٤٣).

قال ابن القيم: (التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وإن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس) طريق الهجرتين (ص ٣٨٩).

* فى التوكل راحة البال، واستقرار فى الحال، ودفع كيد الأشرار، ومن أقوى الأسباب التى يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم، وبه قطع الطمع عما فى أيدى الناس؛ وقد سئل الإمام أحمد عن التوكل فقال: (هو قطع الاستشراف باليأس من الناس)، انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٤١٦)،

ومجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٩)؛ وجامع العلوم والحكم (ص ٤٤٠).

* والتوكل على غير الله ظلم وامتهان للنفس، وسؤال المخلوق للمخلوق سؤال من الفقير للفقير، قال النبى ﷺ «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك؛ ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك». رواه الترمذى، وهو من تتمة حديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم.

ومتى التفت القلب إلى غير الله وكله الله إلى من التفت إليه، وصار ذليلاً مخذولاً، قال ﷺ: «من تعلق شيئًا وكل إليه» رواه الترمذى، سنن الترمذى: كتاب الطب، باب: ما جاء فى كراهية التعليق (٢٠٧٢) من حديث عبد الله بن عكيم رضي الله عنه؛ وأخرجه أيضًا أحمد (٤/ ٣١١)؛ وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٢٥٧٦)؛ وابن قانع فى معجم الصحابة (٢/ ١١٧)، والحاكم (٧٥٠٣)؛ والبيهقى فى الكبرى (٩/ ٣٥١)، قال الترمذى: حديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبى ﷺ وكان فى زمن النبى ﷺ يقول: كتب إلينا رسول الله ﷺ؛ وحسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٦٩١).

قال شيخ الإسلام: (ما جاء أحد مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٧).

وكل من أحب شيئًا لغير الله فلابد أن يضره، وهذا معلوم بالاعتبار والاستقراء، ولا يحملنك عدم رجاء المخلوق على جفوة الناس وترك الإحسان إليهم واحتمال الأذى منهم، بل أحسن إليهم لله لا لرجائهم، وكما أنك لا تخافهم فلا ترجهم، وارج الله فى الناس، ولا ترج الناس فى الله.

الأرزاق بيد الخلاق، فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان لغيرك لم تنله بقوتك، ورزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص، ولا يرده عنك كراهية كاره، والرزق مقسوم لكل أحد من بر وفاجر ومؤمن وكافر، قال عز وجل: **﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾** (هود: ٦)، والرزق يساق إلى الدواب مع ضعف كثير منها وعجزها عن السعى فى طلب الرزق، قال جل وعلا: **﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾** (العنكبوت: ٦٠)، وقد ييسره الله لك بكسب وبغير كسب، والناس يؤتون من قلة تحقيق التوكل، ومن وقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، ولو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب، كما يسوق للطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب

والسعى لكنه سعى يسير، قال عليه الصلاة والسلام: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا». رواه أحمد.

المسند (١/ ٣٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه أيضًا الترمذى فى الزهد، باب: فى التوكل على الله (٢٣٤٤)، وابن ماجه فى الزهد، باب: التوكل واليقين (٤١٦٤)، وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان (٧٣٠)، والحاكم (٤/ ٣١٨)، والضياء فى المختارة (٢٢٧، ٢٢٨)، والألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣١٠).

فلا تضيع زمانك بهمك بما ضمن لك من الرزق، فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا. قال حاتم الأصم: «لما علمت أن رزقى لن يأكله غيرى اطمأن قلبى» أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٨/ ٧٣)؛ والبيهقى فى الشعب (٢/ ٩٨) وقَّت الله للأمور أقدارها، وهيأ إلى الغايات أسبابها، وأمور الدنيا وزينتها قد يدرك منها المتوانى ما يفوت المثابر، ويصيب منها العاجز ما يخطئ الحازم.

والالتفات للأسباب نقص فى التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص فى العقيدة، والإعراض عن الأسباب التى أمر بها قدح فى الشرع، وعلى العبد أن يكون قلبه معتمدًا على الله

لا على الأسباب.

ونبينا محمد ﷺ أكمل المتوكلين، ولم يخل بالأسباب، فقد ظاهر بين درعين يوم أحد.

(أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٩)، وأبو داود فى الجهاد (٢٥٩٠)، وابن ماجه فى الجهاد (٢٨٠٦) عن السائب بن يزيد رضي الله عنه، وعند أبى داود: عن السائب عن رجل قد سماه، وصححه البوصيرى فى الزوائد (٣/ ١٦٥)، وله شواهد كثيرة، وذكره الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٦٤).

واستأجر دليلاً يدله على طريق الهجرة.

(أخرجه البخارى فى الإجارة (٢٢٦٣، ٢٢٦٤) عن عائشة رضي الله عنها.

وحفر الخندق فى غزوة الأحزاب.

حفر النبى ﷺ مع أصحابه الخندق ثابت فى الصحيحين، انظر صحيح البخارى: كتاب المغازى (٤١٠١، ٤١٠٢)؛ وصحيح مسلم: كتاب الأشربة (٢٠٣٩).

وحقيقة التوكل القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبب، واعتقاد أنها بيده، فإن شاء منع اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه.

والموحد المتوكل لا يطمئن إلى الأسباب ولا يرجوها، كما أنه

لا يهملها أو يبطلها، بل يكون قائمًا بها ناظرًا إلى مسببها سبحانه ومجريها.

وإذا قوى التوكل وعظم الرجاء أذن الله بالفرج، وقد ترك الخليل زوجته هاجر وابنها إسماعيل صغيرًا رضيعًا بواد لا حسيس[١] فيه ولا أنيس ولا زرع حوله ولا ضرع توكلاً على الله وامتثالاً لأمره، فأحاطهما الله بعنايته، فإذا الصغير يكون نبيًا وصفه الله بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها، والماء المبارك زمزم ثمرة من ثمار توكل الخليل عليه السلام.

ولما عظم البلاء ببنى إسرائيل، وتبعهم فرعون بجنوده، وأحاطوا بهم، وكان البحر أمامهم **﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾** (الشعراء: ٦١) قال نبى الله موسى الواثق بنصر الله: **﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾** (الشعراء: ٦٢).

فأمره الله بضرب البحر فصار طريقًا يبسًا **﴿كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾** (الشعراء: ٦٣).

ويونس التقمه حوت فى لجج البحر وظلماته، فلجأ إلى مولاه وألقى حاجته إليه: **﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ**

---

(١) الحسيس: الصوت الخفيّ.

الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧).

فنبذ فى العراء وهو سقيم، ومضى فى الخلاء مجردًا.

وأم موسى ألقت ولدها موسى فى اليم ثقة بالله وامتثالاً لأمره، فإذا هو رسول من أولى العزم المقربين.

ويعقوب قيل له: إن ابنك أكله الذئب، ففوَّض أمره إلى الله وناجاه، فردَّه عليه مع أخيه بعد طول حزن وفراق.

ولما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال من مريم عليها السلام عظم التوكل على ذى العظمة والجلال، ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال، فأشارت إليه، فقالوا لها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٩).

فعندها أنطقه الله فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٣٠).

ونبينا محمد ﷺ يتوارى مع صاحبه عن قومه فى جبل أجرد فى غار قفر مخوف، فبلغ الروع صاحبه، فقال: يا رسول الله، والله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا، فقال الرسول ﷺ وهو واثق بربه: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، أخرجه البخارى فى المناقب، باب: المهاجرين وفضلهم ومنهم أبو بكر (٣٦٥٣)؛ ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨١)

عن أبي بكر رضي الله عنه.

فأنزل الله تأييده ونصره وأيده بجنود لا ترى، فسكن الجأش، وحصل الأمن، وتمت الهجرة، وانطلقت الرسالة.

وإذا تكالبت عليك الأيام، وأحاطت بك دوائر الابتلاء، فلا ترج إلا الله، وارفع أكفَّ الضراعة، وألق كتفك بين يدى الخلاق، وعلق رجاءك به وفوِّض الأمر للرحيم، واقطع العلائق عن الخلائق، وناد العظيم، وتحر أوقات الإجابة كالسجود وآخر الليل.

وإذا قوى التوكل والرجاء، وجمع القلب فى الدعاء، لم يرد النداء، ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: ٦٢)، فسلم الأمر لمالكه، والله عزيز، لا يضل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه.

وتفريج الكربات عند تمام الكرب، واليسر مقترن بالعسر، وتعرف على ربك فى الرخاء يعرفك فى الشدة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، قالها الخليلان فى الشدائد، ومن صدق توكله على الله فى حصول شيء ناله؛ ومن فوَّض أمره إليه كفاه ما أهمه؛ ومن حقق التوكل لم يكله إلى غيره، بل تولاه بنفسه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣).

وعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه، فاجعل ربك وحده موضع شكواك، قال الفضيل (رحمه الله):

والله، لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا، لأعطاك مولاك ما تريد). انظر: جامع العلوم والحكم (١٩٧).

وهو سبحانه القدير، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجرى حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٧ : ٢١٩)، قال إبراهيم الخواص: (ما ينبغى للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله).

انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٢٤٥).

ومن تعلّق بغير الله، أو سكن إلى علمه وعقله ودوائه وتمائمه، واعتمد على حوله وقوته، وكله الله إلى ذلك وخذله. قال فى تيسير العزيز الحميد: (وهذا معروف بالنصوص والتجارب) وأرجح المكاسب الثقة بكفاية الله وحسن الظن به، وليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده، ومن ظن أنه ينال ما عند الله بمعصيته ومخالفته كما ينال بطاعته والتقرب إليه، أو ظن أنه إذا ترك شيئًا من أجله لم يعوضه خيرًا منه، أو ظن أن من فعل شيئًا لأجله لم يعطه أفضل منه، أو ظن أنه إذا صدقه فى التوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن بالله ظن السوء، ولا يسلم من هذا إلا من عرف الله، وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده.

قال ابن القيم: (أكثر الخلق، بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق وظن السوء، فإن غالب بنى آدم يعتقد أنه يستحق فوق ما شاءه الله له، ومن فتش فى نفسه وتغلغل فى معرفة طواياها رأى ذلك فيها كامنًا، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره فى كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه). زاد المعاد (٣/ ٢٣٥) بتصرف يسير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ⑧ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ (المزمل: ٨، ٩).

لا يستقيم توكل العبد حتى يصح توحيده، وعلى قدر تجريده التوحيد يكون صحة التوكل، ومتى التفت العبد إلى غير الله، أخذ ذلك شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن نزلت به فاقه فأنزلها بالخلق، لم تسد فاقته، ومن سرَّه أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله، ومن سرَّه أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده، والرضا والتوكل يكتنفان المقدور، فالتوكل قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه، والرضا ثمرة التوكل، وروح التوكل التفويض وإلقاء أمورك كلها إلى الله.

يقول داود بن سليمان (رحمه الله): (يستدل على تقوى

المؤمن بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات). مدارج السالكين (٢/ ١٢١).

وكلما كان العبد أعرف بالله كان توكله عليه أقوى، وقوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه.

ومن توكل على الله فلا يجعل بالفرج، فالله ذكر كفايته للمتوكل عليه، وربما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكل، فالله جعل لكل شيء قدرًا ووقتًا، فلا يستعجل المتوكل، فيقول: قد توكلت ودعوت فلم أر شيئًا!! فالله بالغ أمره، قد جعل لكل شيء قدرًا، والله هو المتفرد بالاختيار والتدبير، وتدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وهو أرحم به منه بنفسه.

رابعًا: الرضا بالقضاء والقدر

إن دنياكم هذه مليئة بالمصائب والرزايا والمحن والبلايا، إلى جانب ما فيها من كريم المنح وجليل العطايا، وأنواع ما يجود الله به من تنفيس الكروب وتيسير العسير وصرف المنايا، فهي دار شدة ورخاء، وسراء وضراء، ومرح وترح، وضحك وبكاء تتجدد فيها الحادثات، وتتنوع فيها الابتلاءات، ويبتلى أهلها بالمتضادات، ليعتبر بها المعتبرون، ويغتنمها الموفقون، وليغتر بها المغترون، ويهلك بها الهالكون: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ

كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٣).

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١).

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٣).

ولذا فكم ترون الدنيا من أصناف الشاكين وأنواع الباكين، فهذا يشكو علة وسقمًا، وذاك يشكو حاجة وفقرًا، وثالث يبكي على فراق حبيب أو وفاة قريب، أو فوات نصيب من دنياه، غير مؤمن بما قدره الله وقضاه.

إن شكوى الله على الخلق والبكاء على الغائب من أمارات وموجبات ضعف الإيمان، ومن مظاهر اليأس من روح الملك الديان، ومن دواعي القنوط من رحمة الله الرحيم الرحمن، وتلكم من خصال شر البرية الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، ولهذا تجدون بعض هؤلاء إذا نزلت بأحدهم النازلة أو حلت به الكارثة ضاقت عليه المسالك وترقب أفجع المهالك، فضاق صدره، ونفد صبره، واضطربت نفسه، وساء ظنه، وكثرت همومه، وتوالت غمومه، فصد عن الحق، وتعلق بمن لا يملك نفعه ولا ضره من الخلق، يأسًا من روح الله وقنوطًا من رحمته، وذلك هو الخسران المبين فى الدارين، فإن التعلق بالمخلوقين والإعراض عن رب العالمين شرك بنص الكتاب المبين:

﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٦: ١٠٧).

أما من آمن بالله وعرف حقيقة دنياه، وسلم لربه فيما قدره وقضاه، فإنه يصبر على الضراء ويشكر على السراء ويطيع ربه فى حالتى الشدة والرخاء، ويذكره فى جميع الآناء، لعلمه أن الله - تعالى - مع عبده ما ذكره وأنه عند ظنه به، وأنه يبتلى العبد بالخير وضده، ليختبر صبره، ويستخلص إيمانه، ويظهر توكله على ربه وحسن ظنه، وليجزل مثوبته ويعلى درجته ويظهر للناس فى الدنيا والآخرة أن هذا العبد أهل لكرامته، وصالح لمجاورته فى جنته.

وفى صحيح مسلم (رحمه الله) عن النبى ﷺ قال: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»، صحيح مسلم ح (٢٩٩٩).

وفى الصحيحين عن أبى هريرة وأبى سعيد رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «ما يصيب المؤمن نصب - أى: تعب - ولا وصب - أى: مرض - ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة

يشاكها، إلا غفر الله بها من خطاياه».

صحيح البخارى ح (٥٣١٨)، صحيح مسلم ح (٢٥٧٣).

وفيهما أيضًا عنه ﷺ قال: «ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها من سيئاته، وحط عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها».

صحيح البخارى ح (٥٣٢٤)، صحيح مسلم ح (٢٥٧٢).

وفى الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده وماله حتى يلقى ربه - تعالى - وما عليه خطيئة»، صحيح سنن الترمذى ح (٢٣٩٩) وقال حديث حسن صحيح.

* وفيه أيضًا عنه ﷺ قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على حسب دينه».

صحيح، المصدر صحيح سنن الترمذى ح (٢٣٩٨).

* وقال النبى ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله - تعالى - إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط» حسن، سنن الترمذى ح (٢٣٩٦) وقال حسن غريب من هذا الوجه.

* وقال النبى ﷺ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله

ﷺ : «إذا أراد الله بعبده خيرًا، عجل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة». صحيح سنن الترمذى ح (٢٣٩٦).

* وفى المسند وغيره عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل، ابتلاه الله فى جسده أو ماله أو ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغ المنزلة التى سبقت له من الله - عز وجل» صحيح، أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٢)؛ وأبو داود (٣٠٩٠).

* كم من محنة فى طيها منح ورحمات، وكم من مكروه يحل بالعبد ينال به رفيع الدرجات وجليل الكرامات، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ٨٣).

ويقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

نعم فالسعادة هى الرضا بالله والقناعة بالمقسوم والثقة بالله واستجداء المعونة منه؛ من ذاق طعم الإيمان ذاق طعم السعادة، قال رسول الله ﷺ : «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً». رواه مسلم ح (٣٤).

إذا لا تخش غمًا ولا تشك همًا، ولا يصيبك قلق ما دام أمرك متعلقًا بقول الله - جل وعلا - فى الحديث القدسى: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه،

ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ، ذكرته فى ملأ خير منه». صحيح البخارى ح (٧٤٠٥)؛ صحيح مسلم ح (٢٦٧٥).

بهذا الحديث وأمثاله بدت السعادة فى وجوه السعداء، والتى يعبر عنها من أحس بنشوتها من أئمة الإسلام فيقول: (إننا نحس بسعادة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك، لجالدونا عليها بحد سيوفهم).

السعادة التى يمثلها من يغدو فى خمائلها ويقول: (إنه لتمر علىَّ ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه الآن، لكانوا إذًا فى عيش طيب).

إن أمثال هؤلاء هم الذين ابتسموا للحياة حينما كشرت عن أنيابها، واستقبلوا الآلام بالرضا والتسليم اللذين يحولانها إلى نعمة تستحق الشكر والحمد، على حين أنها عند غيرهم مصائب تستوجب الصُّراخ والعويل.

فإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية، فإن الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره - هو ماؤها وغذاؤها وهواؤها وضياؤها **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾** (الرعد: ٢٨: ٢٩).

خامسًا - الإحسان إلى الخلق:

(١) إن السعادة هدف منشود، ومطلوب جميل يسعى له البشر جميعًا، بل كل مخلوق يسعى لما فيه راحته وأنسه؛ وللسعادة أبواب ومفاتيح تستجلب بها، وهى كثيرة، فمنها تقوى الله عز وجل ومراقبته فى السر والعلانية، والقيام بما أوجب الله تعالى من حقوقه وحقوق عباده. وهناك باب من أبواب السعادة وتحصيل الأنس يغفل عنه كثيرون، وهو سهل المنال قريب المأخذ، وعاقبته جميلة، وأثره سريع، فما هو يا ترى؟ إنه الإحسان إلى الناس وتقديم الخدمة لهم بما يستطاع، فالخلق عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله، والإحسان إلى الخلق هو من تمام الإحسان فى عبادة الله، قال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ (المدثر: ٤٢: ٤٤)، فسبب دخولهم سقر هو تركهم الصلاة، وتركهم الإحسان إلى الخلق بإطعام المسكين.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تنوعت أرزاق العباد واختلفت، والناس متفاوتون من حيث الغنى والفقر ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف: ٣٢).

والمسلم إن اغتنى شكر، وإن افتقر صبر، وعلم أن ذلك ابتلاء من الله تعالى له، وليس ذلك إلا للمؤمن.

ومن رحمه الله تعالى بالفقراء أن جعل لهم حقًا ثابتًا واجبًا فى أموال الأغنياء، وهو ما يخرجونه من زكوات أموالهم، وقد رغب الشارع الحكيم فى بذل المعروف والصدقة للمحتاجين، ووعد على ذلك بالأجر الجزيل والعافية الحميدة.

إن للفقير لوعته، وللعوز حرقته، وكم هى مرة تلك الآلام والحسرات التى يشعر بها ذلك الفقير المعدم حين يرمى بطرفه صوب بيته المتواضع المملوء بالرعية والعيال وهم جياع لا يجدون ما يسد جوعتهم، ومرضى لا يجدون من يعالجهم، كم من مدين أرهق ظهره ثقل الدين، وناء بجسده تحمُّل هذا الهم المؤرق، كم من فقير ضاقت به الدنيا، وانسدت فى وجهه أبواب الرزق، لولا بقية باقية من الأمل والرجاء فيما عند الله.

وهذه قصة واقعية عظيمة حكاها النبى ﷺ إذا تأملها المسلم، وجد فيها عبرة وفائدة كبيرة، وحاصل هذه القصة أن امرأة كانت عاصية بعيدة عن الله سبحانه وتعالى خرجت ذات يوم، فبينما هى تسير فى الطريق إذ رأت ذلك الكلب الذى اكتوى بالظمأ والعطش، رأت كلبًا معذبًا قد أنهكه العطش والظمأ، وقد وقف على بئر ذات ماء لا يدرى كيف يشرب،

يلعق الثرى من شدة الظمأ، فلما رأته تلك المرأة العاصية أشفقت عليه ورحمته، فنزلت إلى البئر وملأت خُفَّها من الماء ثم سقت ذلك الكلب وأطفات ظمأة وعطشه، فنظر الله إلى رحمتها بهذا المخلوق، فشكر لها معروفها فغفر ذنوبها، بشربة ماء غفرت ذنوبها، وبشربة ماء سترت عيوبها. وبشربة ماء رضى عنها ربها. إنها الرحمة التى أسكنها الله القلوب. إنها الرحمة التى يرحم الله بها الرحماء، ويفتح بها أبواب البركات والخيرات من السماء، بعث بها سيد الأولين والآخرين، كما قال ربنا فى كتابه المبين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

هى شعار المسلمين ودثار الأخيار والصالحين وشأن الموفقين المسددين، كم فرج الله بها من هموم، كم أزال الله بها من غموم، إنها الرحمة، إذا أسكنها الله فى قلبك فتح بها أبواب الخير فى وجهك وسددك وألهمك وأرشدك وكنت من المحسنين.

ومن شعائر الإسلام العظيمة إطعام الطعام، والإحسان إلى الأرامل والأيتام، والتوسيع عليهم طلبًا لرحمة الله الملك العلام.

قال ﷺ: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر» أخرجه البخارى ومسلم.

الذى يطعم الأرملة ويدخل السرور عليها ويرحم بعد زوجها

عنها إحسانًا وحنانًا، كالصائم الذى لا يفطر من صيامه، والقائم الذى لا يفتر من قيامه، فهنيئًا ثم هنيئًا لأمثال هؤلاء الرحماء.

أحوج الناس إلى رحمتك يا عبد الله الأيتام والمحتاجين، فلعلك بالقليل من المال تكفكف دموعهم وتجبر كسر قلوبهم، فيكف الله نار جهنم عنك يوم القيامة، قال ﷺ : «فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة». البخارى.

* وعن أبى موسى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة» قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق» قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف» قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يأمر بالمعروف أو الخير» قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يمسك عن الشر فإنها صدقة». متفق عليه.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس إليه، فتبرم، فقد عرض تلك النعمة للزوال». رواه الطبرانى، وإسناده جيد.

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين». رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

فيا من رام محبة الله ورحمته، ارحم الضعفاء وأحسن إلى

المحتاجين ولا تبخل بشيء من المعروف، ووجوه البر كثيرة، ففى الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، قال: والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

لا يخلو مجتمع من فقراء ومحتاجين، وما أحوج كل مجتمع إلى وجود أشخاص يتخصصون أو جهات خيرية فعالة ترعى الفقراء والمساكين وتطرق أبوابهم لتوصل إليهم صدقات المحسنين وأعطيات الباذلين. وبحمد الله نرى فى بلادنا العديد من الجمعيات والهيئات التى أبدعت فى هذا الموضوع، ورعت الأسر والأيتام، وأمدتهم بما يحتاجون، وأوصلت إليهم الفائض من الملابس والولائم والأطعمة فى صورة مقبولة، بل وأعانت الناس فى إيصال زكواتهم وفطرتهم وصدقاتهم وأضاحيهم إلى المستحقين، ومع ذلك كله لا غنى لكل مسلم عن القيام بواجبه نحو الفقراء والمحتاجين.

أيها القارئ هل تفقدت جيرانك وتعاهدت فقراء حيك؟

ويا إمام المسجد تفقد جماعة مسجدك، وليكن لك دور فعال فى إطعام المحتاج وسد عوز الفقير؛ ويا أيها الداعية، إن مد يد

العون إلى الفـقير وقضاء دينه وإشـباع عياله يؤثر فى قـلبه ما لا تؤثر الخطب الرنانـة والموعظة البليغـة، ويا معشر المعـلمين، لا تغفلوا عن فقراء طلابكم، إذ أن الصغير لا يطيق حر الفقر، ويا معشر المسلمين، الصـدقات والإحسان إلى المؤمنين والمؤمنات من أعظم الأمور التى تـفرج بها الغموم والكـربات، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه.

(٢) إن فى شكوى الفقير ابتلاء للغنى، وفى انكسار الضعيف امتحانًا للقوى، وفى توجع المـريض حكمة للصحيح، ومن أجل هذه السنة الكونية جاءت السنة الشـرعية بالحث على التعاون بين الناس، وقضاء حـوائجهم، والسعى فى تفـريج كروبهم، وبذل الشفاعة الحسنة لهم، تحقـيقًا لدوام المودة، وبقاء الألفة، وإظهار الأخوة، والدين ذل العبادة وحسن المعاملة.

قال ابن القـيم (رحمه الله): «وقد دل العـقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم علـى اختلاف أجنـاسها ومـلـلها ونحلهـا على أن التقـرب إلى رب العالمين والبـر والإحسان إلى خلقـه من أعظم الأسبـاب الجالبة لكـل خير، وأن أضـدادها من أكبر الأسـباب الجالبة لكل شر، فـما استجلبت نعم الله واستدفـعت نقمة بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه» (الجواب الكافى ص ٩).

ونفع الناس والسـعى فى كشف كـروبهم من صفات الأنبـياء

والرسل، فالكريم يوسف عليه السلام مع ما فعله إخوته جهزهم بجهازهم، ولم يبخسهم شيئًا منه؛ وموسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين فرفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما، وخديجة رضي الله عنها تقول في وصف نبينا محمد ﷺ: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق». أخرجه البخاري في بدء الوحي (٤) ومسلم في الإيمان (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وأشرف الخلق محمد ﷺ إذا سئل عن حاجة لم يرد السائل عن حاجته، يقول جابر رضي الله عنه: «ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا»، (أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٣٤)؛ ومسلم في الفضائل (٢٣١١).

والدنيا أقل من أن يرد طالبها، وعلى هذا النهج القويم سار الصحابة والصالحون، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعاهد الأرامل، يسقى لهن الماء ليلاً، وكان أبو وائل (رحمه الله) يطوف على نساء الحي وعجائزهن كل يوم، فيشترى لهن حوائجهن وما يصلحهن). انظر: جامع العلوم والحكم (ص: ٣٤١).

إن خدمة الناس ومسايرة المستضعفين دليل على طيب المنبت، ونقاء الأصل، وصفاء القلب، وحسن السريرة، وربنا يرحم من

عباده الرحماء، ولله أقوام يختصهم بالنعم لمنافع العباد، وجزاء التفريج تفريج كربات وكشف غموم فى الآخرة، يقول المصطفى ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربه من كرب يوم القيامة». رواه مسلم فى الذكر والدعاء (٢١٩٩) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وفى لفظ له: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر أو يضع عنه». أخرجه مسلم فى المساقاة (١٥٦٣) من حديث أبى قتادة رضي الله عنه فالساعى لقضاء الحوائج موعود بالإعانة، مؤيد بالتوفيق، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، وفى خدمة الناس بركة فى الوقت والعمل، وتيسير ما تعسر من الأمور، يقول النبى ﷺ: «من يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة». أخرجه مسلم فى الذكر والدعاء (٢١٩٩) من حديث أبى هريرة.

نبلاء الإسلام وأعلام الأمة شأنهم قضاء الحوائج؛ يقول ابن القيم (رحمه الله): «كان شيخ الإسلام يسعى سعيًا شديدًا لقضاء حوائج الناس»، بهذا جاء الدين، علم وعمل، عبادة ومعاملة.

وببذل المعروف والإحسان تحسن الخاتمة، وتصرف ميتة السوء، يقول عليه الصلاة والسلام: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء والآفات والهلكات؛ وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف

في الآخرة» رواه ابن حبان؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٤) من طريق الحسن عن أنس ﷺ؛ ورمز له السيوطي بالصحة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٥).

وفي بذل الجاه للضعفاء ومساندة ذوي العاهات والمسكنة نفع في العاجل والآجل، يقول ﷺ: «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره». أخرجه مسلم في البر (٢٦٢٢) وفي صفة الجنة (٢٨٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ وليس فيه «أغبر».

ومن للضعفاء والأرامل واليتامى بعد المولى؟!

بدعوة صالحة منهم مستجابة تسعد أحوالك، والدنيا محن، والحياة ابتلاء، فالقوي فيها قد يضعف، والغني ربما يفلس، والحي فيها يموت، والسعيد من اغتنم جاهه في خدمة الدين ونفع المسلمين.

يقول ابن عباس ﷺ: «من مشى بحق أخيه ليقضيه، فله بكل خطوة صدقة»؛ أخرجه أبو عبد الله المروزي في كتاب البر والصلة (ص: ١٦٣)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٢٤) من طريق حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عنه، ورجال إسناده ثقات.

والمعروف ذخيرة الأبد، والسعي في شئون الناس زكاة أهل

المروءات، ومن المصائب عند ذوى الهمم عدم قصد الناس لهم فى حوائجهم، يقول حكيم بن حزام ﷺ : «ما أصبحت وليس على بابى صاحب الحاجة إلا علمت أنها من المصائب». انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١).

وأعظم من ذلك أنهم يرون أن صاحب الحاجة منعم ومتفضل على صاحب الجاه حينما أنزل حاجته به، يقول ابن عباس ﷺ: «ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأنى بالسلام، ورجل وسع لى فى المجلس، ورجل اغبرّت قدماه فى المشى إلىّ إرادة التسليم علىّ، فأما الرابع فلا يكافئه عنى إلا الله» قيل: ومن هو؟ قال: «رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن ينزله، ثم رآنى أهلاً لحاجته فأنزلها بى».

أخرجه البيهقى فى الشعب (٧/ ٤٣٦) بنحوه.

وعلى طالب الحاجة والشفاعة أن لا يطلب الحوائج إلا من أهلها، ولا يطلبها فى غير حينها، ولا يطلب ما لا يستحق منها، فإن من طلب من لا يستحق استوجب الحرمان، وليتخير من الكلام أطيبه، ومن القول أعجبه، ولا لوم على من ردت شفاعته ولو عظم قدر الشافع؛ فقد ردت امرأة شفاعة سيد الخلق ﷺ حينما قال لها: «لو راجعت زوجك فإنه أبو ولدك» قالت يا رسول الله، أتأمرنى؟ قال: «لا، إنما أنا شافع» قالت: فلا حاجة لى فيه - متفق عليه، أخرجه البخارى فى الطلاق

(٥٢٨٣) من حديث ابن عباس ﷺ.

وإذا قضيت حاجة المرء فينبغى الثناء على الشافع وعلى المشفوع عنده، يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» رواه أحمد (٢/ ٦٨)؛ والبخارى فى الأدب المفرد (٢١٨)؛ وأبو داود فى الأدب (٤٨١١)، والترمذى فى البر (١٩٥٥) من حديث أبى هريرة ﷺ، وقال الترمذى: (حديث حسن - صحيح الترغيب (٩٧٣)، ويقول: «من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) رواه النسائى؛ وأخرجه أحمد (٢/ ٦٨)؛ والبخارى فى الأدب المفرد (٢١٦)، وأبو داود فى الزكاة (١٦٧٢)، وفى الأدب (٥١٠٩)؛ والنسائى فى الزكاة (٥/ ٨٢) من حديث ابن عمر ﷺ، وصححه ابن حبان (٣٤٠٨) والحاكم (١/ ٤٢١)، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٨٥٢).

سادسًا: ومن أسباب السعادة أن تعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتحسن إلى من أساء إليك؛ فإن العفو والصفح ينقى القلب من الغيظ والحقد والعداوة، والصفح والتجاوز يطهر القلب ويجلب له السعادة والمسرات، فلا يسر الإنسان وقلبه ممتلئ غيظًا وحقدًا.

سابعًا: ومن أسباب السعادة أن يتذكر المؤمن ويستيقن بالوعد

الكريم من الرحمن الرحيم، من نعيم الجنان دار الأفراح والمسرات، ودار الكرامة والنعيم المقيم، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، وإذا استشعر المؤمن الموقن أن المآل إلى الجنات الزاهيات بكل خير ونعمة وقرة عين ومنة التى يعيش أهلها هناك لا يموتون ولا يمرضون ولا يتغوطون ولا يبولون فى خلود ولا موت **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (السجدة: ١٧).

فإذا تذكر هذا النعيم وعرفه، هانت عليه هذه الدنيا، واستشعر حقارتها، وقصرت فى عينه؛ فلم تكن الدنيا أمله ولا غايته، ولم يعن نفسه من أجلها، ولم يشق خاطره فى سبيلها، فنظر إليها على أنها طريق العبور إلى الجنة وهذه الحياة دار الفتن والابتلاءات فيعيش عيشة السعداء الذين طلقوا الدنيا وارتاحوا من همومها وأكدارها.

ثامنًا: ومن أسباب السعادة أن تعلم أن الله معك يحفظك وينصرك ويمدك بالمعونة والنصر والتأييد والحفظ، فكن مع الله بحفظ أوامره والبعد عن نواهيه، ولا تتعد حدوده يكن الله معك بالنصر والتوفيق، احفظ الله يحفظك.

ومن أسباب السعادة كثرة ذكر الله بيقين وتدبر وخشوع وخضوع **﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** (الرعد: ٢٨)، وعليك

بكثرة دعاء الله؛ فإن الدعاء يصل قلب العبد بربه، ويهيجه إلى الشكوى لخالقه؛ فيجد المريض والمكروب والمظلوم وصاحب الحاجة يجد بث الهموم والفرج والتنفيس بالدعاء ويجد الفرج والسكينة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠).

ويا من تريد السعادة، احذر كل الحذر من الذنوب صغيرها وكبيرها؛ فإن الذنوب هي سموم القلوب التي تجلب الكمد وضيق الصدر والحياة النكدة والمعيشة الضنك فإن الله أبى إلا أن يذل من يعصيه، فيكون شقيًا متحسرًا في دنياه، ومعرضًا لوعيد الله بناره الحامية في أخراه.

رأيتُ الذنوبَ تُميت القلوبَ ... وقد يُورث الذلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ ... وخيرٌ لنفسكَ عصْيانُها

* فيا من تريد السعادة لا تستسلم للذل والمهانة، ولا لكيد النفس والشيطان وأعوان السوء، فإن لك ربًا يحميك ويرفعك ويؤيدك ويغفر ذنبك ويهديك، فلا تعن الشيطان على نفسك ولا تبرر لنفسك رديء أعمالها ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١).

فمن الذى أخرج يونس من بطن الحوت وظلمات البحار ومن الذى جعل البحر لموسى أرضًا يابسة؟ ومن الذى جعل النار بردًا

وسلامًا على إبراهيم ومن الذى شفى أيوب بعد ثمانية عشر عامًا ومن الذى لطف بمحمد ﷺ ونجَّاه من كـيد المشركين وهو فى الغار مع رفيقـه الصديق وقال له ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)؟ ومن الذى أنطق عيسى فى المهد لما اتهم الظلمة مريم عليها السلام؟ ومن الـذى رد يوسف إلى أبويه بعد الفـراق والعذاب؟ ومن الذى نصر القلَّة المؤمنة من الصـحابة الأطهار - وهم الجياع والفقراء - على أعدائهم من المشركين والمنافقين، وعلى الأكاسرة والقـياصرة؟ ومـن الذى يجرى الدمـاء فى عروقك والـنفس فى رئتيك والمخ فى دمـاغك والأعصاب فى مفـاصلك؟ ومن الذى يشفيك بعـد المرض، ويعطيك بعد الفقر، ويشبـعك بعد الجوع، ويجمع شملك بأهلك بعـد الفراق؟ ومن الذى ينعم عليك بكل ما مـعك من سمع وبـصر ونفس وعـقل وحياة وإيـمان؟ ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (النحل: ١٨).

فيـا من تريد السعـادة فى الدنيا والآخـرة، اطلبهـا من الله، واسع فى مرضاته، ثم أبشر بالفوز والـغفران والسعادة فى الدنيا والآخرة، وتفطن بـأن الحياة قصـيرة والموت قريب؛ فلا تـقصر الحياة بالأكدار.

تاسعًا - سكينة النفس:

وسكينة النفس - بلا ريب - فى اليـنبوع الأول للسعادة «هذه

السكينة» كما يقول الدكتور/ القرضاوى فى كتابه القيم (الإيمان والحياة) روح من الله، ونور يسكن إليه الخائف، ويطمئن عنده القلق، ويتسلى به الحزين. وغير المؤمن فى الدنيا تتوزعه هموم كثيرة، وتتنازعه غايات شتى، وهو حائر بين إرضاء غرائزه وبين إرضاء المجتمع الذى يحيا فيه، وقد استراح المؤمن من هذا كله، وحصر الغايات كلها فى غاية واحدة، عليها يحرص، وإليها يسعى، وهى رضوان من الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٣: ١٢٤).

وأى طمأنينة ألقيت فى قلب سيدنا محمد ﷺ يوم عاد من الطائف، دامى القدمين، مجروح الفؤاد من سوء ما لقى من القوم، فما كان منه إلا أن رفع يديه إلى السماء، يقرع أبوابها بهذه الكلمات الحية النابضة، فكانت على قلبه بردًا وسلامًا: «اللهم، إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس.

يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسع لى.

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عيه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك، أو يحل على سخطك. لك العقبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

ومن أهم عوامل القلق تحسر الإنسان على الماضى، وسخطه على الحاضر، وخوفه من المستقبل، ولهذا ينصح الأطباء النفسيون ورجال التربية أن ينسى الإنسان آلام أمسه، ويعيش فى واقع يومه، فإن الماضى بعد أن ولى لا يعود، وقد صور هذا أحد المحاضرين بإحدى الجامعات الأمريكية تصويرًا بديعًا حين سألهم: كم منكم مارس نشر الخشب؟ فرفع كثير من الطلبة أصابعهم، فعاد يسألهم كم منكم مارس نشر نُشارة الخشب؟ فلم يرفع أحد منهم إصبعه، وعندئذ قال المحاضر: بالطبع، لا يمكن لأحد أن ينشر نُشارة الخشب فهى منشورة فعلاً... وكذلك الحال مع الماضى، فعندما ينتابكم القلق لأمور حدثت فى الماضى، فاعلموا أنكم تمارسون نشر النُّشارة!!

عاشراً: السعادة فى اجتناب المحرمات:

أى سعادة ينالها المؤمن وهو يتجنب ما حرم الله، وأى لذة يجدها فى قلبه عندما يحيد عن طريق الزلل والفجور، يقول رسول الله ﷺ : «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول

مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها». رواه أحمد.

ويقول الدكتور/ مصطفى السباعى (رحمه الله): «إذا همت نفسك بالمعصية، فذكرها بالله، فإذا لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال، فإذا لم ترتدع فذكرها بالفضيحة إذا علم بها الناس، فإذا لم ترجع فاعلم أنك فى تلك الساعة انقلبت إلى حيوان».

وفى هذا المعنى يقول نابغة بن شيبان:

إن من يركب الفواحش سراً حين يخلو بسره غير خالى
كيف يخلو وعنده كاتباه شاهداه وربه ذو الجلال

والمعاصى تذهب الخيرات وتزيل النعم، قال على بن أبى طالب ﷺ: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة».

ومن كبح هواه، ولم يسمح لشهواته أن تتسلط عليه سمى عاقلاً مالكًا لهواه، وسعد فى دنياه وآخرته، فقد ذكر عن أحد الملوك: أنه زار عالمًا زاهدًا، فسلم عليه، فرد الزاهد السلام بفتور ولم يحفل له، فغضب الملك وقال له: ألا تحفل بى وأنا ملكك؟ فابتسم الزاهد وقال له: كيف تكون ملكى وعبيدى كلهم ملوكك، فقال الملك: ومن هم؟ فقال: هم الشهوات.. هى ملوكك وهم عبيدى!!

الحادى عشر: الاستجابة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال: ٢٤).

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ (الرعد: ١٨).

الثانى عشر: إقامة الصلاة والإنفاق والصبر:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٥).

روى مسلم من حديث أبي صهيب مرفوعًا: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له».

الثالث عشر: الشكر عند النعيم:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧).

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢).

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (النحل: ١٢٠: ١٢٢).

فماذا لمن حقق هذه الأسباب؟

(أ) في الدنيا:

١ - ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧).

٢ - ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ (النحل: ٣٠).

٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد: ٢٨).

(ب) في الآخرة:

١ - ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

٢ - ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٠).

٣ - ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (النمل: ٨٩).

٤ - ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢).

٥ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (الحاقة: ١٩: ٢٢).

٦ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق: ٧: ٩).

٧ - ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٣: ٢٤).

٨ - ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (طه: ٧٥).

٩ - ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: ٣١).

فقدان السعادة

وبعد أن بينا أوهام السعادة، وبينا أسباب السعادة الحقيقية نقول: إذا أردت أن تكون أسعد الناس، بل أسعد رجل فى العالم، فعليك بتحصيل العوامل الحقيقية للسعادة كما بينت

سابقًا؛ واعلم أن لفقدان السعادة أبوابًا ينبغى إحكام إغلاقها وكشف عوراتها.

ومن أهم ذلك عدم تحصيل الأسباب الحقيقية للسعادة التى بينتها.

(١) ومن ذلك أيضًا، الغناء مزمار الشيطان، ورقية الزنا، الذى ينبت النفاق والقلق كما ينبت الماء الكلأ، يقول الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (لقمان: ٦)، ولقد أقسم ابن مسعود رضي الله عنه ثلاثًا على أنه الغناء.

(٢) كما أن من فقدان السعادة، جعل البيت المسلم محلاً لمردة الجن وبعد الملائكة، وذلك بنشر الصور التى حرمها الشارع على جدارنه وفى فنائه، ورسول الله ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو صورة». أخرجه البخارى ح (٣٢٢٥)، ومسلم ح (٢١٠٦)، فما بال الكثيرين يغلقون أبوابهم فى وجوه الملائكة ويستدعون أسباب الشقاء والقلق ثم هم ينشدون السعادة بعد ذلك؟!

(٣) ومن فقدان السعادة: الذنوب والمعاصى التى قال عنها المصطفى ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه». رواه أحمد (٥/ ٢٨٠) وأخرجه أيضًا ابن ماجه ح (٤٠٢٢) ولفظ

أحمد: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

وقد ثبت الحديث دون قوله: «وإن العبد ليحرم»، فإن هذه الزيادة رويت بسند فيه عبد الله بن أبى الجعد، قال عنه الذهبى فى (ميزان الاعتدال) (٢/ ٤٠٠): وعبد الله هذا وإن كان وثق ففيه جهالة. وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٤).

وقد قال الإمام أحمد (رحمه الله) فى مسنده: «وجد فى خزائن بنى أمية حنطة، الحبة بقدر نواه التمر، وهى فى صرة مكتوب عليها هذا كان ينبت فى زمن العدل».

(٤) ومن فقدان السعادة أيضًا - التهاون بشأن الصلاة أو التقليل منها، ورسول الله ﷺ يقول: «وجعلت قرة عينى فى الصلاة».

صحيح، مسند أحمد (٣/ ١٢٨)، سنن النسائى ح (٣٩٣٩).

(٥) ومن فقدان السعادة الحسد:

فالسعادة حرام على من يشتعل الحسد فى قلبه، وكيف يكون سعيدًا وهو يرى نعم الله تنزل على العباد فيحسدهم **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** (النساء: ٥٤).

إنى لأرحم حاسدى لحر ما ضمت صدورهم من الأوغار
جحدوا صنيع الله بى فعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نار

(٦) ومن فقدان السعادة الطمع:

فإن الطماع لا يمكن أن يقنع بشىء ولو حيزت له الدنيا.

(٧) ومن فقدان السعادة: الشعور بالاضطهاد:

الكثيرون لديهم أسباب السعادة؛ لكنهم يحسبون أن المجتمع أو أن الناس من حولهم لا يعطونهم حقهم وقدرهم، وأنهم يلاقونهم بالجحود والنكران.

ولذلك عليك:

أولاً: أن تثق بأن أى عمل ناجح صادق لأبد أن يجد فى النهاية من يقدره ويحترمه.

ثانيًا: ألا تبالغ فى تقدير أهدافك الإصلاحية، ومشاعرك النفسية، فإن لك منها حظًا باليقين والتأكيد، وليس كل ما يعمله الإنسان فهو جد أممن متجرد عن المصلحة الخاصة الذاتية، فما تعتقد أنت أنه نوع من المثالية، المصالح العامة للأمة كلها، لابد أن هناك جانبًا شخصيًا ونفعيًا يخصك أنت، فلا تبالغ فى تقدير هذه الأهداف لك.

ثالثًا: عليك ألا تتوقع أن يهتم الناس بك، كما تهتم أنت بنفسك، وأهدافك وأعمالك، كما أنك أنت لن تهتم بالناس

كاهتمامهم بأنفسهم.

رابعًا: لا تفسر الأمور دائمًا، كما لو كان هناك مؤامرة تدار عليك.

وهكذا وصلت إلى آخر الكتاب بتوفيق من الله سبحانه وتعالى فيا كل مسلم، إذا أردت أن تكون أسعد رجل فى العالم.

فخذ بالأسباب الحقيقية للسعادة التى بينتها فى بداءة، الكتاب وأجتنب كلَّ الاجتناب أسباب الشقاء التى بينتها فى نهاية الكتاب؛ لتكون أسعد رجل فى العالم.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧: ١٠).

إذا كنت تريد السعادة فى الدنيا والآخرة

* اهجر المعاصى والذنوب وأكثر من الاستغفار؛ فإن معه الرزق والفرج وتكفير الخطايا.
* اقنع بما رزقك الله تجد الراحة والسعادة.
* أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها كنز من كنوز الجنة.
* أحسن إلى الناس، ولا تنتظر منهم رد الجميل.

* اعلم أن الدنيا دار بلاء ومحن؛ فاصبر على حالها واستعن عليها بطاعة الله.
* إياك والمعاصى فإنها سبب لغضب الله سبحانه وتعالى.
* اعلم أن من اغتابك فقد أهدى لك حسناته.
* ابتسم فى وجه الناس تكسب حبهم وتكون لك صدقة.
* حافظ على أذكار الصباح والمساء لتكن لك وقاية من كل شر.
* إياك وتجريح الناس ولا تتكلم إلا بما يرضى ربك.
* لا تغضب فإن الغضب يفسد كل الأمور.
* لا تضيع عمرك فإن أنفاسك معدودة.
* لا تحزن على ما فاتك من أمور الدنيا؛ فإن الذى فاتك فى الدنيا سوف يعوضك الله عنه فى الآخرة.
* تصدق بصدقة قليلة دائمة.. أفضل من الكثير المنقطع.
* التمس الأعزار لمن أساء إليك، وأحسن إليه سوف تجد ما يسرك.
* شارك زوجتك فى عمل البيت؛ فإن ذلك خُلق نبيل، وهو من أخلاق النبى ﷺ.
* لا تنسى دعاء الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم، لا إله إلا الله رب السموات

والأرض رب العرش العظيم».

* أكثر من النوافل فإنها قُربة إلى الله، وتكمل لك الفرائض يوم القيامة.
* من النعم العظيمة التى ينعم الله سبحانه وتعالى على عبده المؤمن نعمة الرضا.
* اعلم أن السعادة ليس فى جمع المال، ولكن التقى هو السعيد.
* إدخال السرور على الفقراء واليتامى من أعظم السعادة.
* أكثر من التسبيح؛ فإنه سبب للنجاة من الكربات.
* ركعتين واستغفار فى وقت السحر أفضل من كنوز الأرض.
* لا تجعل ساعة تمر إلا ولك فيها ذكر وطاعة لله تعالى.
* حب الخير للناس طهارة القلب ونقاء من الحسد.
* الصلاة فى أوقاتها مع لزوم الاستغفار تفتح لك الأبواب المغلقة.
* اجتهد في رضا ربك وإن سخط عنك الناس فسوف يرضيهم ربك عليك.
* أكثر من الصلاة على النبي ﷺ يصلى الله عليك بكل واحدة عشرة.

* الزوجة الصالحة والذرية الصالحة أفضل من جمع المال.
* داوم على الاستغفار فى وقت السحر، وانتظر الخير.
* إذا اجتمع فيك حُسن الخُلق وصمت لسان، وابتسامة وجه، فأنت أسعد الناس.
* كلمتان تستطيع أن تثقل بهما الميزان وترضى بهما الرحمن «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».
* إذا نزلت بك نازلة فلا تسأل غير الله فهو الذى أنزلها وهو الذى يرفعها.
* إذا ابتليت بالفقر فاصبر فإنك غدًا سوف يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله.

◘ فهرس المراجع ◘

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد، لابن القيم، بتحقيق عبدالقادر وشعيب الأرناؤوط، ط. الرسالة.

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم.

(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم.

(٤) الداء والدواء، لابن القيم.

(٥) السعادة بين الوهم والحقيقية، للشيخ ناصر سليمان العمر، ط. دار الصفوة.

(٦) طريق السعادة، للدكتور/ أحمد فريد، دار ابن تيمية.

(٧) لا تحزن، للشيخ عائض القرنى.

* * *

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

* * *

من إصداراتنا

- القول المفيد في أحكام التجويد
- تعليم الصبيان تجويد القرآن
- متن الشاطبية
- طيبة النشر في القراءات العشر
- هدية المتعال شرح تحفة الأطفال
- الصحيح من قصص الأنبياء للأطفال
- أيام في حياة الرسول
- أنين جريحة
- يوم في حياة صائم
- احفظ الله يحفظك
- تمام المنة «كتاب البيوع»